حماقاتٌ لا بدّ منها

نصوص

الكتاب: حماقات لا بد منها

الكاتب: آزاد عنـز

كاتب وشاعر كردي سوري

الطبعة الأولى: 2019

جميع الحقوق محفوظة

الناشر: دار الزمان
للطباعة والنشر والتوزيع
فايبر وواتس آب:
00964 772 4223169
موبايل: 00964 750 3598630
E-mail: zeman005@hotmial.com
Website: www.darzaman.net

الإخراج الداخلي: **دار الزمان**
تصميم الغلاف: م. **جمال الأبطح**
لوحة الغلاف: الفنانة التشكيلية السورية فيفيان الصائغ

Copy Right © Dar Zaman Publishing
لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه
إلا بإذن خاص ومسبق من الناشر
All right reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted.
without permission in writing from the publisher

آزاد عنـز

كاتب وشاعر كردي سوري

حماقاتٌ لا بدّ منها

نصوص

الفهرست

قامشلو، القامشلي، قامشلوكي 7

إلى سلو، سليمو، ابن المُلا بركات 9

البياض المُتمم المتنازع بين حلب و الشهباء 11

الأكراد لصوص الجغرافيا 13

المغتصبة (ب، أ) 17

انصهار سخونة الثقافة الشرقية على الجليد الغربيّ 19

ما هو الوطن..... 21

انتحرت القُنبلة لتبقى سِتارة المسرح مغلقة 25

قادة الموت 29

مداخل كردستان و مخارجها 31

زعماءٌ يتوسدون القرآن لطحن الأكراد 35

الغرب الكرديّ التائه بين وثنية الشمال و الجنوب 37

الأكراد أيتام الله 39

الأكراد يقرعون أبواب القيامة 41

الهارب من الهلاك المُعجّل إلى الهلاك المؤجّل 43

كُردستان..... الجغرافيا المتوارية عن الأنظار 45

أحذيةٌ كُرديّة مُعلّقة و نِعالٌ كُرديّة تعلوا العمامات 49

جدائل الكُرديات تتسلق هضبة مشتى نور 53
الوطن المتنقّل الهارب إلى الجّحيم، أو لمن ستقدم الولاء 55
الصيحةُ الواحدةُ لا غير 59
عربيّ يستنجد بسقف مقطورة و سماءٌ تسقف الكرديّ 63
كلنا زعماء..... كلنا لاشيء 65
شعوبٌ شاردة لأوطانٍ مفقودة 67
رعايا سعداء في ظلّ أنظمة سعيدة 71
مُشافهة الأرواح ما بعد البرزخ 73

قامشلو، القامشلي، قامشلوكي

خُططت بأنامل فرنسية على خريطة مهمشة في شمالٍ مهمش و شرقٍ بائس، لم تكن زجاجة عطرٍ ليتعطر بها الضابط الفرنسي تيرييه بل كانت مجموعة من الغرف الطينية بعثرت على ضفّتي نهرٍ متسوّل ليتعطر أهلها برائحة الطين المنبعث من متاهات الغرف ذات الأبواب الخشبية المفتوحة على مصراعيها، رائحة الطين التي تنافس ليس فقط العطر الفرنسيّ بل فرنسا كلها، فائتلفت الغرف الطينة المبعثرة لتعقد في ما بينها ميثاق شرف المدينة التي أخذت نصيبها من القصب المنتصب و الموزع بالتساوي على ضفّتي نهر الجقجق فورّثت المدينة اسمها من القصب أولاد النهر ، القصب الذي يرضع من النهر أبداً، فكان القصب أي قامش أباً للمدينة و أجدادها فسميت (قامشلو – القامشلي). أما قامشلو...أُلصِقَتْ بها أل التعريف الزائِدة لم تكن عَهْدية ولا جنسية وإنما هكذا لتَدخُل على بُنية الكلمة كعابر سبيلٍ ضلّ الطريق فمكث بها دون استئذان من أهلها، أما الواو فقُلِبَتْ ياءً، ياء الانتساب إلى العربية فأرادوها القامشلي، و لكن الأكراد ردوا الياء إلى أصلها واواً بعيداً عن القواعد و البلاغة و لم يكتفوا بذلك بل أضافوا إليها الكاف و الياء انتقاماً للضيف الدخيل فنادوها قامِشْلوكي و تدخل العشاق أيضاً في تسميتها فألحقوا بها الفائض من الحب فنادوها قامشلوكه أفيني أي مدينة الحب.الحب المقسّم بقسمة عادلة إلى نصفين بفعل نهر الجقجق المنصف و المقهقه أبداً في جريانه جنوباً، ذاك النهر ذو البدن النحيل الذي يشبهني في نحالته و وسامته أيضاً، لم

يكتفي بذلك بل زاد على المدينة رومانسيّةً، فكل مدينة لا تحتضن نهراً هي مدينة بائسة لا تملك عاطفة و قد تبقى عذراء إلى أبد الآبدين. و أنت تتجه غرب النهر تصطادك رائحة الحناء و التوابل من جهة و رائحة البخور من جهة أخرى فتكون طريدة سهلة الوقوع في فخاخ الرائحة القادمة من سوق عزرا الذي شيّد أول حجر من حجارته عزرا اليهودي فتكرّم اليهوديّ على السوق بنَسَبه و حَسَبه فأصبح اسمه سوق عزرا بل كان له الفضل في إلحاق النكهة بطعام المدينة كلما ذابت توابله في طعامهم، السوق الذي يختزل ذاكرة المدينة و تاريخها بين أكياس التوابل و أعواد البخور، كل كيس من أكياسه يحتفظ بسرٍّ من أسرار هذه المدينة البائسة و كل عود بخورٍ أيضاً، و بالقرب من سوق عزرا ترى جاره سوق الأتراك المليء بالتبغ و البضائع التركية الوافدة من مدينة نصيبين توأم القامشلي في الجانب الآخر من الخط الحديدي الذي لا يكف عن الصراخ لحمله عبء القطار الثقيل و البطيء أبداً في سَيره. و عند مدخل المدينة الغربي تحجب عنك الرؤيا هضبة الهلالية التي تحمل على ظهرها الغرف الطينية الدافئة و التي تزوّد عظام الفقراء الباردة بالدفء،الهضبة التي تظلّل الغرف الطينة و التي بدورها تظلّل أجساد الكادحين، هذا الحي الذي ترافق تعميره مع هندسة المدينة لا ينافسه في القِدم إلا حي (قدور بك) الذي يتربع في شرق المدينة و شرق النهر ، قدور بك الهارب من نصيبين التركية فجاء بحجارةٍ خرساء من الجنوب التركي إلى الشمال السوري و أسس منزلاً فنطقت الحجارة و أصبح مالكاً للحي إلى أبد الآبدين.

إلى سلو، سليمو، ابن المُلا بركات

امتحنتَ الجهات على باطن كفّيك في منازلة متأرجحة بين الطُهر و نقيضه لتأكيد الزعامة و إقرارها فأصبح الشمال سيد الجهات دون برهان يثبت للجمهور كيف حصد الشمال تلك السيادة، كأيّ سجين يشتهي البقاء في زنزانته هكذا كنت منحازاً في اللعبة لتبقى جهة الشمال سيدة للجهات و تبقى سجيناً للشمال أينما هربت. سلو الهارب من جغرافيته إلى جغرافية لا جهة لها، الذي غدر بأول شمالٍ احتضنه ليلجأ إلى الشمال الثاني و يطعنه و كأنه يختار الشمال كي يغدر به بطعنة قاتلة و يعيد إحيائه في جغرافية أخرى ليعود سيداً للجهات، سليمو الهارب من شمال لغته الكردية إلى شمال اللغة العربية بلسانٍ عربي منقوش ببلاغة مُرعبة ليتفوق على شريكه العربيّ بلغتهِ العربية، لسان الكرديّ الناطق بالعربية هوّية انتساب الكرديّ إلى العربيّة و لسان العربيّ الناطق بالكرديّة هوّية انتساب العربيّ إلى الكردية.ابن المُلا بركات يطارد اللغة بسوطه كجلادٍ لا يرحم كطريدة أسيرة يستدرجها إلى فخاخ قاموسه ليُعيد صناعتها كمولودٍ مستحدث من أبٍ كرديّ و أمٍ مجهولة الهوّية، كعجينةٍ يُقلّبها بين راحتي كفّيه ليصنع منها لغةً مستطابة سائغة و شهيّة المذاق، ينحت الكلمات بإزميله بحثاً عن قارئٍ ينحت المعاني كي تكتمل نشوة اللغة و البلاغة ثم يُقطع الكلمات إلى حروف بسكاكينه البتّارة التي لا تصلح لإعداد الطعام بل لإعداد وليمة من البلاغة مجهولة الهوّية لقارئٍ مجهول الهوّية. سلو الكرديّ الذي تمرّد على لغة شريكه فخرج عن المألوف و

العاديّ و ابتكر لغةً مجنونة لا صواب فيها و صاح بأعلى صوته أن كل داخلٍ سيهتف لأجلي و كل خارجٍ أيضاً فدخلنا من الباب المُفضي إلى اللغة و هتفنا لك و خرجنا من الباب المُفضي إلى اللغة و هتفنا لك و هتفت لك اللغة و بياض الصفحات و هتف لك الموتى أيضاً، و بعدها بعثرت قريتك الطينية موسيسانا كما تبعثر حفنة قمح على أرضٍ لا تصلح للحياة فبقيت على حالك مهملاً و بقيت موسيسانا على حالها مهملة دون مزارع يصلح بور أراضها فتعلن الدجاجات إفلاس بطونها من الطعام لتبقى دجاجات أمك جوعى إلى أبد الآبدين و تبقى رئة أبيك خاوية من دخان التبغ. سليمو الكرديّ الهارب إلى شماله الناطق ليحمل مفاتيح الشمال و يكون حارساً على أبوابها الكبيرة فكل جهة خرساء لا يسعفها لسانها إلى النطق عليها أن تستعين بلسان الشمال الناطق كي تنطق و كل جهة تائهة أيضاً لا يرشدها بصرها إلى النظر عليها أن تستنجد بشمالك يا سليم كي لا تضلّ طريق العودة إلى البيت، حارسٌ للشمال و حارسٌ للغة العربية أيضاً ليختار منها المفردات الثقيلة كأكياس التبغ و يحملها على ظهره الواسع ما لا طاقة لغيره على حملها، يختار من الكلمات المخيفة التي يحمل كل حرف من حروفها في باطنه أكثر من تأويل لصنع مأدبة مُحكمة الإغلاق بأقفالٍ كبيرة فيتوه الإدراك المرهق في بحرٍ من المعاني ليصل إلى المعنى الصواب الذي يليق بهذا التيه، و عند المساء يرجم بياض الصفحة بكلماته الثقيلة لنصب فخاخ البلاغة لقارئٍ سيغامر في الغوص بين هذه الكلمات عله لا يتوه في مأزق اللغة و يجد مخرجاً يُفضي إلى النشوة.

البياض المُتمم المتنازع بين حلب و الشهباء

مدينة الشمال بلا مخاصم ابنة الحجارة البيضاء وريثة اليقظة في التعيين، لا يدخلها النعاس فهو غير مُرحّب به، يقظة ترتكن على يقظة لدفعها على أن تبقى يقظة لا تستند على نوم أو سِنَة.

تفرّد السريان بتسمية المولود و تسمية الحجارة المتكئة على بعضها في لفظ مجازي للتسمية، و لشدّة بياضها كان لفظ المولود حلب.

استقرّ على حاله إلى أن حلَّها العرب في نَزَل دائم لمنطق الهجرة و الشُخُوص، فتبنّوا البياض و بياض الحجارة و ظلال الحجارة و اختلسوا التسمية في نسف لغويّ و إضافة تعريب مُتمِّم للكلمة، فكان حاصل الدمج و حاصل تزاوج العربيّ و السريانيّ في إدغام اللغة و الهوّية حلب الشهباء.

يستهلها سَنا الصباح ابتداءً من شرقها فيهمس للمعقل المَنيفِ المُشرف على أحوال المدينة و رعاة الحجارة في تدبير شؤون الحياة و الإجراء.

قلعة تجلس بحكمة على تلّة اختلف التدوين في بنائها فكان مآل التنقيب عائدا للألف الثالث قبل الميلاد، حصن يبتزّ النظر على حيرة المدينة و على ارتباك أحفادها الذين لا يفقهون منطق السُكون و الرقاد في تنظيم مشيئة الاجتهاد و مزاولة المهن و الحرف لإحداث السلع.

أمّا المساحة الشاغرة التي تتوسط رئة المدينة الصاخبة اتّكل اللفظ و التسمية فيها على الزعيم الوطنيّ سعد الله الجابري، فراغ

يربط أبعاد المدينة و جهاتها ببعضها بتنظيم أغر و بديع لا يزاحمه في فتنته إلا سحرُ الحلبيات اللاتي يجئْنَ إلى الساحة و هنَّ بكامل حُسنِهنَّ الذي ما إن رأته الحجارة الصّماء نطقت بالجمال، بياضهنَّ يجذب الرجولة المستوفية شروطها و اللّا مستوفية شروطها، بياضٌ لا يليه بياض، أمّا عطرهنَّ حكاية أخرى تترامى أميالاً ما إن تنفسها الموتى في الرموسِ يُحيينَ و يهجْنَ فكيف الأحياء منهم و هم على مقربة منهنَّ، عطرٌ لا يكتمل شذاه إلّا إذا انتسب بأجساد وضَّاحة يحرّضها إلى الكمال كمالٌ يكتمل بهنَّ.

يجئنَّ إلى الفراغ لتوثيق الوقت الفائض من محنة الأجساد المرهقة على أن يعيدهنَّ الفراغ مطربين إلى متاهات الحجارة البيضاء.

و أنت عائد من مخارج القلعة الجالسة على التلة لا يسعفك المسير إلّا و أنت تتوه في مداخل أسواق حلب المبتذلة العريقة، باب أنطاكية يصرخ في وجهك و يناديك و رائحة الحِنّاء تتضوّع بحماقة في أرجاء المتاهات و الكهوف المرسّخة على البسيطة، متاهات مفضية إلى متاهات متتالية إلى أن تتوه في إحداها أو أن تعاونك رائحة البخور الجليل إلى مخارجها.

سقوف نصف دائرية و قُبب تعلوا الجدران المستوعبة للمتاهات، جدران و سقوف متبرّجة موشومة بنقوش سالفة تنقش في ذاكرتك مدى أصالة و حسابة الحجارة المتضمنة للنقوش.

الأكراد لصوص الجغرافيا

تصدق الله على الطبيعة من وافر نعمته و أهداها جبالاً فاقترن كل جبل أحمق مع هضبة حمقاء تكبره سناً و يائسة عن الولادة فكان حاصل الاقتران بين الأحمق و الحمقاء أنْ حَبَل الجبل الذكر بدلاً من الهضبة الأنثى اليائسة عن الحَبَل في معادلة لا يفهمها إلّا الله، ترعرع الجنين في الكهف المتواري في رحم الجبل فتمخض الجبل و كان ناتج المخاض العسير أن قام الكهف بقذف الجنين بعيداً فوُلد كردياً أحمقاً، كل جبل ولد كردياً خالصاً، كل جبل هو أب و أم للكرديّ بالفطرة، كل كرديّ له أبوَين أبٌ عاقل و أبٌ غير عاقل هو الجبل فأخذ الكرديّ من صفات أبيه الغير عاقل البأس و الشِدة،لم يبخل الله على الكرديّ فتكرم عليه بالوجع و العذاب أيضاً.كل آدميّ يكتسب صفات جغرافيته فيأخذ منها عطفها و شدّتها و مفرداتها و هو أيضاً لا يبخل عليها بتسميتها استناداً إلى أمر ما، ففي أقصى شمال شرق سوريا في الجغرافيا الكردية سمى الكرديّ مدينته (ديريك) أي ذو الطريقان استناداً إلى الطريق التجاري المنشق على نفسه إلى الطريقين المارّين بها فأخذت المدينة نصيبها من طرقها فسميت بالطريقين، حتى طرق الأكراد لم تسلم من الانشقاق فاكتسب الطريق صفات الكرديّ المنشق على نفسه فتبعه الطريق في السلوك فانشق هو أيضاً و قد تكون عائدة إلى ذاك الدير المركون في حضن المدينة، و لكن الشريك العربي طعن الأبجدية الكردية فلم يُسعفه نطقه إلى ديريك فنطقها (مالكية) إرضاءً للغته العربية و إرضاءً للضابط

السوري عدنان المالكي. أما بلدة (كركي لكي) فأخذت نصيبها من التلّ الذي كان يحمل على عاتقه أعشاش طيور اللقالق المشرفة على أحوال الحمقى و لكن الناطق بالعربية لم يسعفه نظره إلى التلّ فما شاهد التلّ أبداً و إنما شاهد الطريق المُعبد الذي بُني بسواعد الفرنسيين الواصل بين ثكناتهم العسكرية آنذاك فلفظها لسانه (معبدة) و من ذاك الوقت بقيت طيور اللقلق كالأكراد دون وطنٍ يحمل أعباءهم، و هناك أيضاً بلدة (جل آغا) جارة كركي لكي في التعريب المتمّم التي تزاحم في حكمها أربعين آغاً فسمى رعاة الكرد البلدة نسبة لهؤلاء الآغوات الأربعين إرضاءً لهم جميعاً خشية أن يغضب أحدهم إن سماها الكرديّ تسعة و ثلاثين أو أقل فبقيت (جل آغا) أي أربعون آغا و لكن لسان العربيّ أجاز لنفسه أن ينطقها ب (الجوادية) دون سببٍ يذكر فقط كي لا تبقى كردية، أما نزولاً فتسمع صراخ الموتى أضلّوا قبورهم في بلدة (تربه سبي) إذ كانت لهذه البلدة حصة من القبور التي تسكنها مدهونة بالبياض فسميت (القبور البيض) و ما أن اجتاحتها ريح التعريب و تغيرت إلى (القحطانية) نسبة إلى قبيلة قحطان أجداد العرب ليبقى الموتى دون قبور تحتضن رفاتهم. و في الضفة الغربية من مدينة قامشلوكي (القامشلي) زاحمت البلدات و المدن أخواتها بلدات و مدن الضفة الشرقية في التعريب كبلدة (سري كانيه) الجغرافيا المليئة بالينابيع فكل نبعٍ يزاحم شقيقه النبع في تسميتها ليقول أنا جد البلدة و لي نصيب في تسميتها فسميت البلدة ب (سري كانيه) نسبة إلى أجدادها الينابيع أما الشريك العربيّ فلم يجد مفرادات عربية تسعفه إلى تعريبها فترجم الكلمة لفظاً و نطقها (رأس

العين)، و على بعد أميال كثر تشرف هضبة مشتى نور على أكراد يتبضعون التبغ في (كوباني) المدينة التي اتكأ اسمها على الشركة الألمانية التي أنشأت سكة القطار في تلك الرقعة و لكنها كشقيقاتها المدن احتلها التعريب فعُربت إلى (عين العرب) إرضاءً لقوافل العرب البدو القادمة من ريف الرقة لتروي ظمأ قطعانها من نبعٍ أسماه الأكراد (كانيه عَربا)، فكيف لنبعٍ أن ينطق العربية وقد تتلمذ نطقاً كردياً في المدارس الكردية ؟.

المغتصبة (ب، أ)

صوت مخنوق كُتم على صراخه في كل ركن من أركان الحافلة التي تسير بعيداً عن صخب المدينة و عن صخب الجحيم الذي تنازع سواده مع بياض المدينة فكانت الغلبة للسواد الفاسق لا للبياض الطاهر ، صرخة مجهضة في حيرة من أمرها تستنجد بآذانٍ صماء لا يسعفها السمع ليبقى الصوت مقيداً إلى الأبد، أيّ حيرة تدور حول نفسها في فضاء مظلم دون مُنجدٍ يحرّر الحيرة فتتحرّر الصرخة أيضاً و أيّ خديعة استدرجت المختطفة العذراء (ب، أ) إلى مصيدة اللعنة كطائر فقد جناحيه فكان فريسة سهلة الاستدراج إلى فخ الاغتصاب، طريق طويل يحمل على عاتقه عبء الحافلة التي تعتقل في داخلها صرخات غير منجزة، حنجرة تصرخ، لسان يصرخ، جسد بطوله يصرخ، بكارة تصرخ، فرج يصرخ بنصفه الكرديّ و نصفه العربيّ، عذرية تصرخ برمّتها، و كيف لصرخة تكون منجزة و هي سجينة جدران تمنعها من الوصول إلى آذان محرّرة ؟ حافلة تجرّ خلفها هويّة ستغتصب في غرفة طينية تسكن ضواحي مدينة الرقة. لا مفرّ من مفترس يرمي بكامل ثقله على فريسة مقيّدة الذراعين و محرّرة من الأسفل، لا مفرّ من معركة حاصلة بين الطريدة و الصياد ستحسم أمرها بعد دقائق لصالح الصياد المزود بمستلزمات الصيد الحديثة من الأربطة و الفخاخ و مستحضرات فقدان الحس و الحركة، لا مهْرَب. يا للهول !!! طُعنت البكارة الطاهرة دون فمٍ صارخٍ ينجدها، فمٌ مربوط يحتضن صرخة أسيرة فعوضت البكارة نطق اللسان و صرخة الفم المربوط لتصرخ نيابة

عنهما فمُزّقت و صرخت أعلى صوتها، مُزّق الكمال فمُزّقت معه عذريتنا و أنوثتنا و رجولتنا الناقصة أيضاً، يا للخديعة. رُميت الضحية الناقصة في الصحراء الواسعة الممتدة على الأرض السورية، استفاق الجسد المحرّر من الرباط ليجد نفسه في مأزق اجتماعي، هتف الجسد بكامل قوامه يا للمحنة و هتفت البكارة أيضاً، و لا يسعف محنة الجسد المغتصب إلى الانشراح إلّا الامتحان فامتحنَ الفرد و امتحنَ الجماعة، خسر الفرد و خسرت الجماعة و انتصر الجسد الطاهر في امتحانه، صوّرت المغتصبة في مرآتنا على أنها مرأة ناقصة برمّتها مرأة من الدرجة الثانية، جسدٌ من الدرجة الثانية، روحٌ من الدرجة الثانية، بكارة مشوّهة من الدرجة الثانية، جذع مكسور من الدرجة الثالثة و صيدٌ سهل الاستدراج إلى فخاخنا، لا كمال لأجساد ببكارات مشوّهة في مرآتنا، لا كمال. مرأة كاملة بجسد كامل و بكارة كاملة ميثاق شرف الكرديّ و العربيّ، البكارة الكاملة التي تسكن شرق المتوسط و جنوبه صك العبور إلى الطُهر و صك العبور إلى القبول داخل ذواتنا المُعاقة، لا يترمّم التشويه ما لم يتعافى العقل من آفته و قبوله بالضحية على أنها كاملة.

انصهار سخونة الثقافة الشرقية
على الجليد الغربيّ

يلد الطفل باكياً بكل عُريّهِ فينقطع حبله السريّ و ينفصل عن أمه ليتصل بالحياة بحبلٍ علنيّ و فاضح أكثر تعقيداً، يلد بجيوبٍ فارغة من الحكمة و ممتلئة بالشغب، كطنجرة فارغة تماماً من الفوضى، تطرق على حوافها فتصرخ صراخاً فارغاً، طنجرة تنتظر طاهية تملؤها بمقادير منتظمة في تقديرها و غير متساوية في كميتها، تُخلط الأصناف على نار هادئة في طنجرة امتلأت بفوضى المقادير بعد أن كانت فارغة منها، تتحالف المقادير قسراً في ما بينها كل صنف من الأصناف يعطي للصنف المتحالف معه فوق النار جزءً من مذاقه و يأخذ بدلاً عنه مذاق الأخر و قد لا يكون التبادل متساوياً دون الاهتمام في الكمية المتبادلة، تنطفىء النار المشتعلة لتفصح الطنجرة عن المستور فتشهد الطاولة ولادة طعامٍ مستساغ أو غير مستساغ. هكذا هي الحياة تسلب منك ما تريد و تهبك ما تريد في عملية تبادل عادلة أو غير عادلة، فالحياة طنجرة فارغة و نحن مقادير الطعام نحترق معاً على نار الصواب لإعداد الحكمة. يلد الطفل كأرضٍ متأهبة للزراعة، أحدهم يزرعها قمحاً و آخر يزرعها ورداً و آخر يزرعها حشيشة القنب، مالك القمح يحصد حكمةً و مالك الورد يحصد فرحاً و مالك حشيشة القنب يحصد بلاءً و هكذا، طفلك تربتك الخصبة. تترسب بقايا البذور المختلفة عاماً بعد عام في ضمير التربة فتأتلف في ما بينها نهاية المطاف لتنبت البذور مجتمعة نبتة الثقافة، فالثقافة في جوهرها ما

يكتسبه الفرد بعد أن يُقذف من رحم الأزل فتتلقفه فخاخ الأبد، إنها فخاخ الحياة، فخاخ الحكمة و الصواب، إرثٌ ثقيل من العادات و التقاليد و الأعراف و اللغة و الهويّة الملتصقة بك قسراً و يبقى الاسم من أولى فخاخ الثقافة التي تصطادك في الحياة، فالاسم بصمة الإنسان و خاصيته التي تميّزه عن غيره من الأقوام كأن تقول اسمي «نبيل – من الشرف» أي أنك عربيّ الهويّة أو أن تقول اسمي «آزاد و معناه بالعربية الحرّ» أي أنك كرديّ الهوية أو «نورسين – نور القمر» أي سريانيّة الهوية و هكذا إلى أن تصل إلى «آدم» أبو البشرية و الاسماء الملحقة بها، فالاسم الخالص من الشوائب بوابة التعريف بالهويّات و لكن بفعل الاحتكاك و التداخل برز عنصر التأثير و التأثر كأن يسمي الشرقيّ متأثراً بجاره الغربيّ في الغرب البارد اسم طفله «مايكل» طفلٌ بهويّة مزدوجة في تأثير صريح للثقافة الغربيّة على الشرقيّة و استسلام صريح للثقافة الشرقيّة المبددة في الغرب و دلالة على فشل الشرقيّ في إقناع مُضيفه الغربيّ بأن يسمي الغربيّ طفله باسمٍ شرقيّ، انصهرت سخونة الشرق بكل ما تحمله من إرث الهويّة على عتبة البوابات الواسعة للجليد الغربيّ، برودةٌ تُذيب السخونة !! فيفتخر الشرقيّ مبرّراً على أن العملية انفتاح لا انصهار و يبقى الانفتاح لذة التبادل بين الاختلاف على أن يحافظ كل منهما على خاصته تماماً كعملية تبادل الأسرى بين قوتين متحاربتين، فالحياة معركة و صراع سرمدي.

ما هو الوطن.....

ما هو الوطن يا سادة ؟

يقول المشرد في سرّه و علنه أريد شبراً من هذه الأرض الواسعة كي أضع عليها حذائي الصغير فيصفق له شركاءه في التشرد نريد أشباراً تسع لأحذيتنا، مَن لا يملك شبراً من الأرض كي يُظلّلها بحذاه يبقى مشرداً دون وطن يحمل عبء حذائه بل يحمل هو عبء الوطن و ثقله على أكتافه فيبقى الحذاء و صاحب الحذاء دون وطن، هذا هو وطن المشرد حيث لا يفكر بأكثر من شبر من هذه الأرض الكبيرة التي تتسع للجميع في الظاهر. تماماً كأن تأتي بطفل يرتكز على قدمين حافيتين بعد أن ملأ جوفه الفارغ ببقايا القمامة المرمية على أرصفة الشارع و أزقة المدنية و تجرّده من ثيابها و تكسو نصف جذعه الأسفل ثياباً ممزقة ليبقى نصف جذعه الأعلى محرراً من عبء القماش و تقول له غني للوطن... ! فيقول الطفل في خفائه مثقلاً بدموعه عن أيّ وطنٍ يتحدث هؤلاء الحمقى و أنا عاري الجسد و عاري الوطن ؟ يقول الطفل العاري تماماً أريد ثياباً أكسو بها وطني و بعدها أغني للوطن كي ترقصوا و أغني لكم أيضاً، يردد الطفل قائلاً لا أعرف موسيقا الوطن أيضاً.

ما هو الوطن يا سادة ؟

مهد الولادة بعد أن تُقذف بعيداً من الرحم يتيماً فتصطادك مستقعات الطفولة رهينةً في الشارع القريب من الحي و يعلمك الشارع كلمات غريبة الأطوار و تطحن وحل المستنقع بعظامك الفتية

حافياً حتى الركبة و تتسخ حتى منكبيك، طفولة بائسة في حيٍ بائس تستنشق هواءً بائساً من أعقاب السجائر المرمية في شارع بائس لرئة بائسة و تنفخ على جدران الشارع الطويل برئة منتصرة اقتلعت الهواء من أفواه المارة فيصبح الهواء أسيراً في الرئة الزنزانة و تطلقه مجدداً فيتحرر و تعيد الكرة الواحدة تلو الأخرى فتكون طفلاً متمرداً شرساً تعتقل ما لا طاقة للطغاة على اعتقاله، تعقتل الهواء ليكون غريقاً بين قضبان رئتيك و تعتقل الضباب أيضاً بعد أن يحرره الله من قبضتيه الواسعتين، و في السهل البعيد من الحي تصطحب معك فخاخك المليئة بالديدان القذرة لتصطاد طيور الحسّون لكن الحسّون كان أذكى منك و من فخاخك و من ديدانك القذرة فاصطدت بدلاً منه عُصفوراً دّورياً أحمقاً مثلك و مثل فخاخك و عدت به أسيراً إلى الحي مليئاً بنشوة الانتصار ، أما في الصيف فتذهب بعيداً إلى قرية أبيك لتحتال على بساتين القرويين في الظهيرة بعد تسترخي أعينهم المرهقة من غبار الحصادات فتقفز كالقردة من السور المنخفض للبستان و تسرق البطيخ الأحمر (الجَبَس) و تطحنه من أقصاه إلى أقصاه على ركبتيك بعد أن تحمله بيدين صغيرتين و كأنك تحمل الكون برمته بين راحتيك فيستحم جسدك الضعيف بمائه الأحمر بعد أن تملأ جوفك الفارغ تماماً.

ما هو الوطن يا سادة ؟

قلبٌ فارغ يبحث عن مستوطن كي لا يبقى شاغراً أبداً و يبقى وطن العاشق فراش امرأة عاشقة تستدرجه رائحة جسدها فيذهب مغمض العينين أسير الرائحة كقيّاف يدرك تماماً أن الكنز ليس

مدفوناً تحت التراب و أنما جسد دافئ ينتظره على فراش أكثر دافئاً فيكتمل الدفء بهما بعد أن يختبئ في كنفها الدافئ و يضع رأسه على نهدها الأيمن و يُقبل نهدها الأيسر بباقات من القُبل تصلي صلاة الجماعة ليحترق الفراش برمته و يحترق الجسدان معاً.

انتحرت القُنبلة

لتبقى سِتارة المسرح مغلقة

انفجرت القنبلة الانتحارية في حرب مجهولة بين طرفين مجهولين على أرض مجهولة في الساعة الخامسة و العشرين بتوقيت المجهول، انتحرت القنبلة المتبنية للفكر الجهادي فسحقت جسدها لتبقى روحها لعنة تلاحق أجساد الأحياء من الآدميين، تقدمت القنبلة إلى امتحانها في اللحظة الموعودة لميعادها و استشهدت، كل قنبلة تنجح في امتحانها متى ما كانت روحها لعنة تسحق أجساد الآدميين و تفشل في الامتحان متى ما كانت روحها بريئة خالية من الموت فتخسر جسدها و الامتحان معاً كأيّ رصاصة حية تُخطِئ الهدف فتُخطئ الموت أيضاً ليحافظ الجسد على حياته و تبقى الرصاصة فاشلة في برهانها، كل جسد هدف يُخطئ الموت الهارب من الرصاصة في تجريده من روحه يبقى حياً منتصراً و يبقى البارود مهزوماً و مُخفقاً في الاختبار. انفجرت القنبلة و نثرت لعنتها على الأحياء فلم تمزقهم مزقاً تاماً و إنما عطلت أعضاءهم عن مزاولة مهامها فأصبح أحدهم أعمى البصر و أصبح الثاني أطرش السمع و كان نصيب ثالثهم في النطق فصار أخرساً لم يهزم أحد و لم ينتصر أحد لا القنبلة و لا الأجساد فحصلت القنبلة على نصف العلامة المقررة في الامتحان لعدم طحنها للأجساد فكان انتصارها ناقصاً غير كامل، قنبلة غريبة في أمرها حافظت على أجسادهم لتبقى حية مُعذبة. ثلاثة أشخاص تقمّصوا شخصيات ضحايا القنبلة العجيبة في أمرها فتقمّص

(جهاد) شخصية الأطرش كي يُسعف أُذنا الضحية إلى السمع و قَلّدَ (سالار) شخصية الأعمى كي يُنجد عينا الضحية إلى البصر و حاكى (عباس) شخصية الأخرس كي يُغيث لسان الضحية إلى النُطق، ثلاثة ففشلوا في إسعاف أعضائهم المُعطلة عن العمل فأُرغم كل واحد منهم على الاستعانة بالأخر في ما ينقصه من الأعضاء فكان الأعمى ينظر بعينيّ الأخرس و الأخرس ينطق بلسان الأطرش و الأطرش يسمع بأُذنيّ الأعمى، ثلاثة أجساد بأعضاء واحدة تُكمل بعضها البعض.تدرّب الشُبان الثلاثة على أداء أدوارهم على خشبة المسرح التي تحضنها مدينة القامشلي في الشمال السوريّ، تقمّص كل واحد منهم دوره بإتقان بحثاً عن علاجٍ يعيد كل عضوٍ مُعطل إلى كماله دون نُقصان، لجأ الضحايا إلى حكيمٍ يُطبب الأعضاء في غابةٍ مجهولة حيث تقمّص شخصية الحكيم (آزاد) الفاشل أبداً في إتقان دوره و بعد الفحص و المعاينة كان العلاج ضحية جديدة لينتفع كل مريضٍ من عضو الضحية الذي ينقصه، عاد الثلاثة بحثاً عن ضحيةٍ تُنجدهم من خساراتهم فتأمل الأطرش جهاد عميقاً في الضحية الجديدة و لم يُسعفه تأمله إلى الصواب فأنجدته لعنة الأنا إلى قتل أحد أصدقائه ليستثمر أعضاءه الصالحة للعمل، و في ليلة مظلمة هادئة طُعن الأخرس عباس عمداً بطعنةِ غدرٍ من الأطرش جهاد فأطلق الأخرس صهيلاً فسمع الأطرش صُراخ الأخرس فكانت الصدمة هي الدواء كما كانت هي الداء و ليست الضحية كما وصف الحكيم، عاد السمعُ للأطرش و تحرر النُطق من اللسان الأخرس و استرجع العماء اللون الهارب من بصر الأعمى بعد الصدمة و لكن قُتل الأخرس لينتهي العرض بهذا الشكل، و قبل موعد العرض بيوم واحد قصد الممثلون خشبة

المسرح لأداء آخر تجربة أداء الأدوار قبل عرضها على الجمهور و لكن القنبلة كانت تنظرهم، قُنبلة توارت عن الأنظار فاختبأت في حاوية القمامة لتكون من نصيب فتاةٍ متسولة تبحث بين القمامة لعل القمامة تنجد بطنها الخاوي تماماً، انفجرت القنبلة بجسد المتسولة لتكون الضحية الحية المُسعفة لأعضاء الضحايا الممثلين، انتحرت القُنبلة لتبقى سِتارة المسرح مغلقة إلى أبد الآبدين، انتصرت القنبلة وحيدةً و هُزم الممثلون و الجمهور المنُتظر.

قادة الموت

تاريخٌ لُفّق على عجل بعد نفض التراب عنه ليَبدو أكثر جاذبية ثم إكسائه بين دفتي الكتاب لغزو العقول و احتلالها، و حاضرٌ شُوّه على عجل أيضاً و أُلحِق بكتاب التاريخ المُلفق أصلاً كملحق ثقافي بعد تزيينه و تحسين شكله الخارجي بأدوات و مستحضرات تجميل كالتي يستعملها خبراء التجميل لإخفاء الحقائق المطلقة فتصبح متوارية عن الأنظار وراء كم هائل من الصِباغ. تاريخٌ يدوّنه المنتصر على مقاساته لا على مقاسات الصواب فيحرّر ما يشاء في مؤلفات و مجلدات دون رقابة أو حساب بل و يغيّر المصائر و يبدّلها فيرى هزائمه في مرآته انتصارات و يرى انتصارات غيره في مرآته هزائم و بعدها يقوم فقهاء اللحن بتلحين انتصاراته و عزفها على مقاساته لا على مقاسات المدرج الموسيقي فيغني له الشعب طرباً، و كيف لمهزومٍ أن يدوّن التاريخ و هو مجرّدٌ تماماً من أدوات الكتابة و مقيّد اليدين،تماماً كما فعل الشيوعي جوزيف ستالين الذي صرخ نيابة عن ماركس و أنجلز و ردد شعارهما (ياعمال العالم اتحدوا) و ما أن تظلّل العمال تحت ظلّ هذا الشعار لم يتردد ستالين أبداً في التسلّق على ظهر العمال الكادحين إلى أن وصل إلى هرم السلطة، فالشيوعية لم تورّث للعالم إلّا حكاماً طغاة و شعوباً تُعساء و عمالاً شبعوا القهر و الخضوع و أطناناً من الوعود الجميلة، جوزيف ستالين المنتصر في الحرب على خصمه زعيم النازية أدولف هتلر لم يتردد في إهانه المهزوم في ساحة ستالينغراد فأصبح هتلر في نظر العالم وضيعاً، حقيراً، سافلاً و مجرماً على الرغم من أن

ستالين أو ونستون تشرشل لم يكونا أقل إجراماً من هتلر و لكن لحسن حظهما فقد انتصرا في الحرب الطاحنة التي قذفت البشرية إلى الهلاك و هُزم هتلر، الحرب التي لم تبخل على العالم برمته بالدمار و الخراب، و لكن ماذا نتكلم عن روزفلت و هاري ترومان اللذان تقاسما الإجرام مناصفة فلم يبخل ترومان على اليابان في اهدائها قنبلتين نوويتين دفعة واحدة فقد كان قائداً كريماً بطبعه، قنبلتان لا غير كانتا كافيتين لتشويه هيروشيما و ناجازاكي من أقصاهما إلى أقصاهما بل و تسرب التشوّه إلى نطاف رجالهم و أرحام نسائهم ليبقى أطفالهم مشوّهين إلى أبد الآبدين، أيّ إجرامٍ هذا الذي لحق بالعالم من وراء حماقات قادة الموت، إجرامٌ لا يليه إجرام و لكن سيبقون منتصرين لا مهزومين و سيبقى العالم برمته يتيمّم بتراب انتصارات قادة الدمار، ستالين و أصدقاءه في حلف القتل و الدمار حسموا أمرهم في حرق برلين و تدميرها فكان تركة الحلف للألمان دولة من الأنقاض لدرجة أن طفلاً كردياً أعمى يستطيع أن يقف في مداخل برلين و ينظر بعيداً فيرى رغم عماء بصره مخارجها. و لكن ماذا لو انتصر أدولف هتلر في حربه الطاحنة و احتل العالم برمته و وضع حذاءه العسكري على خريطة العالم ؟ لكانت الآن شعوب العالم ترقص على ألحان انتصاراته و بطولاته و يردد أطفالنا في الشوارع المزدحمة أقواله ذهاباً و إياباً لكن لسوء حظه فقد هُزم و أصبح مجرماً، فكيف نثق بالماضي و التاريخ إذا كان الحاضر يُشوه على مرأى أعيننا و نصدقه و نبتسم.

مداخل كردستان و مخارجها

جبالٌ و أنصاف جبال ترحب بك على مداخل كردستان و مخارجها، كردستان الإقليم الملحق بالأراضي العراقية، فكل مدينة أو قرية أو شارع يحتلّها جبل أو شبه جبل أو تلّ أحمق أو هضبة مجنونة أو قد تكون عاهرة، منازل تتسلّق الجبال كقُبَلٍ مجنونة لرجل مجنون وهي تتسلّق جسد امرأة عارية. جبالٌ تحرس مُدنها كمدينة دهوك المحصنة بجبالها المُشرفة على أحوال المدينة، جبل زاوه يحمل عبء نصف مدينة دهوك و يزاحمه في حمل النصف الآخر جبل أبيض (سبي)، جبل لم يفلح الكرديّ في تسميته فبقي أبيضاً احتراماً للبياض الذي يلبسه كنقاء قلوب ملّة الكرد. في الطريق إلى هولير (أربيل) تصادف الزاب الأعلى النهر المُنصف أبداً في جريانه جنوباً باتجاه المنفى، أما هولير المدينة التي لن ينتصر كاتبٌ واحد في توصيفها أو رسامٌ واحد في إبراز ألوانه على البياض الرحب بل الأمر يتطلب اشتراك عدة كُتاب أو عدة رسامين لإيجاد مخرج من مأزق الوصف أو التدوين أو اللغة كاشتراك عدة رسامين في بناء ملامح امرأةٍ كردية تستطيع أن تتبرع بنصف جمالها و تبقى جميلة كجمال قلعتها المركونة على هضبة معتوهة، مدينة تائهة تتوه بين ملامحها كتيه أبنائها بين أقداح الشاي، أكرادٌ يدمنون الشاي و يقرعون أقداحهم نخباً و ثأراً للبُن الذي فشل أكراد العراق في تعريف مذاقه فلم يطحنوا البُن لاستخراج النكهة من حباته كما طُحنت أجسادهم مراراً بفعل آلة القتل العراقية، رئاتٌ كردية تتنفس الشاي في مقهى مجكو أو كما يفضل ألسِنة

أكراد العراق تسميته و تدوينه بلهجتهم السورانية (مه جكو) المقهى الذي يختزل أدب و ثقافة كردستان بين جدرانه، و بالقرب من مقهى المثقفين (مه جكو) تجد جاره مقهى المديونين (قرزار) في دلالة واضحة على إفلاس أبنائها من موظفي الدولة على أن يستوفوا ضرائب أقداح الشاي في أول أيام الشهر فبقي الإفلاس يطارد الكرديّ حتى في جغرافيته. أكرادٌ قرويون لا تزال العشيرة تسكن في مخيلتهم و هم يسكنون في أبنية مدنية لتبقى المعادلة خاطئة في برهانها، أما ضواحي هولير فلا تزال دبابات صدام حسين مُعلّقة في جبل (شيره سوار) ثلاث دبابات كانت كافية لسحق الأكراد فاستحضر الأكراد الدبابات الثلاث و وضعها في جانب الطريق العام استذكاراً للهزيمة و الانتصار، و بعد أميال هنالك تلّان عاقلان مركونان في أعلى جبلٍ عاقل تلّ (حمد آغا) و تلّ (شيلان) التلّان اللذان تحصن خلفهما الأكراد الحمقى إبّان قتال الكرديّ للكرديّ على أرضٍ كردية و جبالٍ كردية و تلالٍ كردية لدوافع غير كردية،جغرافية مزدحمة بالجبال و الحسرات و جبال ثرية بالكهوف، كهف (شاندر) زعيم الكهوف و المُرجّح بدء البشرية من جوفه، جغرافيةٍ بدأت البشرية من باطنها و بقي أولادها في نهاية البشرية، كهف شاندر جار برزان مهد البارزاني الأب الثائر الكردي لملّة الكرد التائهين. ملّة تائهة لا يُسعفها من هذا التيه إلّا جمال الكرديات في (كويا) بداية الحدود الإدراية لدولة (السليمانية) دولة تحتضن دولة، دولةٌ ضمن دولة، دولة هولير و دولة السليمانية !! كويا الجميلة كنسائها الجميلات و خلفها تماماً تعثر على (دوكان) المقسمة بالتساوي على ضفّتي النهر المنصف الزاب الأدنى الأخ الصغير للزاب الأعلى من أبٍ آخر، النهر الذي

يروي ظمأ النبتة الكردية الخالصة (ريواز) نبتةٌ لا تحيا إلّا على التراب الكردية، نبتةٌ يظلّلها جبل (بيره مكرون) الجالس على ضفة الجغرافيا و الملاصق تماماً لجبل (كوسرت) الجبل الذي أجهد الله نفسه بصنعه، جبل كوسرت و ابن عم جبل (أزمر) الحارس الشخصي للسليمانية المدينة الحاصرة بين جدرانها مبنى الأمن الأحمر الذي لا زالت ظلّال أجساد الكرد معلّقة بسقوفه فحافظ أحفاد الموتى على هيكله ليبقى أثر البارود المخترق لظاهره شاهداً على طحن الأجساد الكردية تحت آلة الدمار العراقية، جغرافية خصبة فاضت بالدماء و رائحة الموتى و القبور.

زعماءٌ يتوسدون القرآن لطحن الأكراد

طحنٌ هنا و طحنٌ هناك، موتٌ هنا و موتٌ هناك، لا شيء إلّا الموت و الدمار و القتل المُجاز و كأن الله قال في كتابهِ الجليل وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَناحروا، حروبٌ في المشرق العربي و حروبٌ في المغرب العربي و حروبٌ في العمق العربي،شعوبٌ لا تملّ من الخراب و جغرافيا لا ترتوي إلّا بالدّم، شعوبٌ لا تفقه إلّا لغة الدمار إنهم فقهاء الدمار، شعوبٌ تتلذذ بمشهد من الأجساد المُحترقة،شعوبٌ تتنفس رائحة الموت لتحيا و زعماءٌ يتوسدون القرآن و يُؤوّلونه و ينسجون من سّوره سيوفاً مجلخة لضرب الأعناق كما يشاؤون و شعوبٌ تُصفق لهذا التأويل و كأن هذا الكتاب لا يُجيز إلّا القتل، في شمال سوريا في الرقعة الكردية في عفرين استند الزعيم التركي على سورة الفتح وأوّلها على مقاس آلة الدمار و قُرعت طبول الحرب لطحن الأكراد، أكرادٌ مرتدون و كَفرة يجوز قتلهم دون حساب و عقاب بل و تكسب ثواباً عند الله يوم يُنفخ في الصُور، سورةٌ نُزلت يوم صلح الحديبية في دلالة من الله على إرساء السلام في تلك الرقعة الجغرافية، أما التركيّ فقد أجاز تأويلها يوم فتح عفرين و كأنه يفتح أبواب الجحيم على هؤلاء الأكراد، أما الأكراد رداً على تأويل التركيّ لسورة الفتح فقد استجندو بسورة التين و أقسموا بالزيتون برهانُ الكرديّ على لجم آلة الخراب بأوراق الزيتون، كما أقسم الله بالزيتون للدلالة على منافعه، و في الطرف المقابل من الشمال العراقي في الجغرافية الكردية هنالك أيضاً استند الزعيم العراقي صدام حسين على سورة الأنفال و

أوّلها على مقاس فوهات البنادق و صفق العربيّ لهذا التأويل ليقوم بحملته العسكرية لطحن الأكراد، نعم هؤلاء أكرادٌ خونة و مشركون لابدّ من طحنهم و سحقهم و تم توزيع الغنيمة كلها على المجاهدين و ليس فقط خمسة أرباع أموالهم و نسائهم و أحجارهم و أشجارهم و دوابهم و هوائهم ومائهم و مقابرهم و لم يبقى لله و رسوله أيّ خُمس من الغنيمة فقد تحايل الزعيم العراقي على مبدأ القسمة الشرعية الذي تم اعتماده في غزوة بدر الكبرى فلم يعطي شيئاً لله و رسوله، أما أكراد كردستان العراق فقد استنجد الذين في طريقهم إلى الهلاك بسورة الرحمن كي ينعموا بموتٍ رحيم يقذفه الله لهم من السماء من واسع رحمته و أما الأكراد الذين نجوا من الموت فقد استنجدوا بسورة الطور و أقسموا بالجبال الشامخة أقسموا بجبل شيخي داري و جبل هندرين و احتموا في أحضان جبالهم لتنعم أجسادهم بالسلام و الأمان من ويلات آلة الدمار و الخراب العراقية، أكرادٌ مرتدون هنا و أكرادٌ مشركون هناك و انفصاليون هنا و هناك، غداً سيخرج زعيم آخر يتكئ على سورة الزلزلة و يؤولها كما يشاء كي يُزلزل الأرض تحت نعال الأكراد بحمم مدافعه لتكون قيامتهم الأبدية، عندها سيستنجد الأكراد بسورة المنافقين، عندها فقط سيقف أطفال الأكراد في أعلى جبالهم لتصرخ حناجرهم بأعلى صوتها كي يقولوا لله هؤلاء الزعماء و الشعوب منافقون، نفاقٌ يُصفق للنفاق.

الغرب الكرديّ التائه

بين وثنية الشمال و الجنوب

شمالٌ سوريّ تائه بأكراده، غربٌ كرديّ شاردٌ بأكراده، جغرافية ضائعة على خرائط اللعنة، طريدة سهلة الاستدراج للوقوع في الفخاخ و وليمة سائغة على الهضم، سماها الأكراد غرب كردستان الملحق بالشمال السوري الأحمق، لا عقول كردية راجحة تسعف التيه إلى الصواب، ما يستحوذون عليه في عَرْصَات القتال يفقدونه على مائدة المراهنات فالحياة ليست لعبة نرد ترمي بحجارك تصيب أو تخيب، لا يجيدون التفريق بين الربح و الخسارة فهم ليسوا تُجار دم، خلقهم الله في قوالب خاصة بسواعد صلبة لا تنقصها الشدة و عقولٌ قابلة للأجرة أبداً، فالأكراد يؤجرون العقول بدلاً من حقول التّبغ و التوابل، فهم من أنسب الأمم التي تطهر قيح التاريخ و تطبب للغير،شعبٌ يشتهي الحرية و لكنه ضلّ الطريق أو يتعثر بظله كالسكران الذي يتعثر بنفسه بعد القدح الخامس و لا يعلم أين النجاة ،و متى؟ من تيهٍ إلى تيه إلى تيه إلى اللا شيء، جموعٌ ضائعة لا قيمة لها في أيّ مشافهة مؤجّلة أو معجّلة و لا يجيدون استحصال الحق أو الحفاظ عليه و لكنهم متفوقون في تمايل الأجساد بشهادةِ أنفسهم و شهادة غير الكرديّ للكردي، فالكردي بجسده البدين و عقله النحيل يستطيع أن يتمايل طرباً بدلاً من العالم برمّته الأحياء منهم و الأموات، شعبٌ يتمايل تحت ضوء القمر دون إيقاع ملازم للبريق المنهمر في العتمة. أكراد سوريا التائهون استوردوا زعيماً من شمال جغرافيتهم الممزقة و زعيماً من

جنوبها فتاهوا أكثر و كأنهم لا يتقنون صناعة زعيم خاص بهم من ملتهم يسعفهم من التيه، استوردوا أوجلان من الشمال و البارزاني من الجنوب و تفننوا في نحت الأوثان لزعمائهم بأزاميل حادة، فالإزميل تَرِكة الكرديّ للكردي في وطنه المنزوع و في منفاه، براعة الكرديّ في نحت الأوثان جعلته ملّة حائرة آيلة إلى الهلاك و مهارة الكرديّ في تمجيد ما نحت إزميله جعلته ملّة شاردة آيلة إلى الزوال، لا الشمال أسعفه و لا الجنوب فهو غربٌ ثَمِل لا يدرك الصواب، الشمال الكرديّ الحاضر في جبال قنديل و الجنوب الكرديّ القائم في قِلاع هولير (أربيل)، صراع الشمال و الجنوب في الغرب الكرديّ لجذب الفراش إلى طرفه جعل هذا الغرب تابعاً لغيره لا سيداً لنفسه، فهو صراع الأمكنة على المكان و صراع الجهات أيضاً على الجهة، غربٌ تابع كتبعية نبات عبّاد الشّمس للشّمس في تمايله مع وجهة الشّمس من مشرقها حتى مغربها، أكراد سوريا ملّة تابعة لا وجهة لهم لا في اليقظة و لا النوم ولا في الأحلام، ملّة تتجه نحو الفراغ لا شيء سوى الفرااااااااغ. ملّة تتصارع على اللا شيء تحت ظلال أوثانها المستوردة، رَهِين التبعية لا يستقيم من الصراع و رهين التبعية لا يستقيم من الهلاك، سيبقى الغرب الكرديّ تائهاً و ضالّاً بأكراده بين وثنية الشمال و الجنوب إلى أن يصيح بهم ديكٌ من ملّتهم يرشدهم و يسعفهم من الهلاك إلى الحفاظ على النوع إلى الخلاص من القيود التى أرهقت عاتقه و التفوّه بلا تكليف من أحد.

الأكراد أيتام اللّه

رهاناتٌ خاسرة في الشمال، أكرادٌ خاسرون في شمالٍ خاسرٍ أبداً، لا الشمال يُسعف الكردي و لا الكردي يُسعف الشمال، أيّ خسارة مضاعفة خسارة تجرّ خسارة و هكذا إلى أن تتراكم الخسارات بصحبة الرهانات الخاسرة التي أثقلت عاتق الكرديّ اليتيم و ظهره، أيتام التاريخ و أيتام الجغرافيا و أيتام الله أيضاً، سُحق الأكراد في مهاباد و عُلقت المشانق لتحمل أجساد الضعفاء عالياً لا لشيءٍ بل لأنهم أكراد هكذا ببساطة أنت كردي لا يحق لك الحياة و هُزم الأكراد في كركوك رئة الكردي و ائتلف شيعة العراق و سُنتها رغم الصدع بينهم الذي وصل عنان السماء على إجهاض أحلام هؤلاء اليتامى بل أبعد من ذلك عندما أبرم ولي الخراب و الدمار في إيران ميثاق الربح و الانتصار مع التركي رغم الشقاق بينهم على مطاردة قوت رزق الكردي و عيشه ليبرم أكراد العراق ميثاق الخسارة مجدداً و يبقى شمال العراق خاسراً بأكراده إلى أبد الآبدين، أما في الشمال السوري ملّت حنجرة الكرديّ من الصراخ لتشارك حنجرة شريكه العربيّ و هي تهتف للجنود الذين نسبوا أنفسهم أحراً ليحرروا التراب و الهواء و الماء و العباد و أسواق التوابل و لكن لم يحرر نصف فرسخ و بقي الهواء غريقاً في جدل النسيان و بقيت التوابل رهينة وراء القضبان ليبقى الطعام فاسداً بمذاقه،، رهانات خاسرة للتركيّ في عمق الشمال السوري فتمت عملية البيع بنجاح بينه و بين الروسي فأجاز الروسي أن يشرب التركي الدم الكُردي في أقداح الفودكا، أقداحٌ خُصصت للدم لا

للفودكا، إنها مقايضة التراب بالتراب و الدم بالدم، دماءٌ لم تكن رخيصة يوماً بل مجانية و أرواحاً مجانية أيضاً، فتوجهت آلة الدمار التركية حاملةً على ظهرها أدواتٍ مأجورة لسلطان السُنة ممن نسبوا أنفسهم أحراراً إلى عفرين الكردية لطحن الأكراد بذريعة الإرهاب و الانفصال، لصوص جاؤوا لسرقة الزيتون من عفرين، و هناك أيضاً سُحقت مدينة كوباني عن بكرة أبيها بتهمة الردّة، نعم أكراد مرتدّون عن الدين و الدنيا في رقعة جغرافيةٍ و انفصاليون و إرهابيون في رقعة جغرافية أخرى فيكفي لك حتى تحطن الكُرديّ أن تلبَسه قميص الردّة أو الإرهاب أو الانفصال، آلة سلطان النفاق و الخداع أمطرت زيتون عفرين بوابل من النيران مُستترٍ وراء أغصان الزيتون، لا يحق للص الزيتون أن يُسمي عملية الطحن متخفياً وراء أغصانه بل المقاتلة الكردية هي من يحق لها أن تسمي ردع آلة الدمار التركية بالزيتون، الزيتون زيتونها و الأغصان أغصانها و هي تُسمي ما تشاء،رصاصة الكُرديات كافية لإشعال القيامة برُمتِها و هي تَعقد لفافة تبغِها، كُرديةٌ يُسعِفنَ التبغ إلى رئات خاوية من الدخان، كُرديات يكتُبَن بالرصاص إنها حرب التَبغ و الرصاص، جبل ليلون يُصفق لجبال كُرداغ آباء الكُرد و رعاة أرواحهم الذين لم يبخلوا يوماً على الكرد بالوقاية من الويلات، جبل ليلون سيبقى حزيناً إلى أن تحمله مقاتلة كردية بجدائلها بعد أن تُبلل الجدائل في نهر عفرين الأحمق.

الأكراد يقرعون أبواب القيامة

جغرافية الشمال الكُرديّ الملحق بتراب العراق المركون في الجنوب الكُرديّ الكُلي تصرخ من باطن حنجرتها، تراب يصرخ، تاريخ يصرخ، أكراد الجبال يصرخون و يقرعون ظاهرَ الطناجر بالحجارة في شوارع كردستان و أزقتها، إرث ثوري أيضاً يصرخ من كهوف الجبال الضامنة لسلامة الكرديّ و عافيته، صراخ متصاعد على عجل و صيحات مطالبة برفع العلم الكرديّ ليهتز وحيداً على التراب الكرديّ لا يخاصمه في ذلك علم الجار و الشريك المنازع، صراخ لا لبس فيه و لا غموض، نعم صراخ مطالب باستقلال الكرديّ في طعامه و شرابه و لباسه و أبقاره و تبغه و صيامه و صلاته و هزائمه و نومه على فراشه بعد الهزيمة، لا الصراخ يسعف الكرديّ في تيهه و لا الصيحة أيضاً ، أيّ جريمة نسجها الكرديّ في سرّه و علنه كي يُعاقب عليها جماعة و أفراداً ؟ نعم إحقاق الحق الكرديّ جريمة لا تغتفر، هكذا لا يحق لك أن تنام وحيداً على فراشك و تنعم بالرخاء، أيّ باب من أبواب القيامة قرعها الأكراد لينقضّ عليهم من يدعي الجيرة و الشراكة و أحياناً الأخوة، أيّ باب قرعت ليستقبلك الجحيم من أوسع أبوابه و نوافذه، لا بأس.....

أيّ قيامة عجّل الكرديّ في إبرامها ليبقى وحيداً مرتبكاً لا خيال يسعفه و لا صواب، كيف للجار و للشريك و للأخ العربيّ و التركيّ و الفارسيّ أن يعاقبوا أخاهم الكرديّ على حق شرعيّ و قانونيّ، كيف لهم من حرمان ملّة من الهواء و الطعام و الشراب

ليموت جوعاً إلى أبد الآبدين، لا عليك..... و لكن يقيناً أكراد الجبال و الكهوف سيدخنون لفافات التبغ و يطاردون دجاجاتهم بالحجارة بعد أن يملؤوا بطونهم بتراب كردستان، هكذا هم الأكراد سيأكلون التراب الكرديّ إلى حدّ الشبع.

و لكن لم يكن الكرديّ يدرك أن خديعة الاقتراع على الاستقلال في طناجر الديموقراطية قد نسجت على الأرض الكردية لتكون مصيدة تنقض على الأجساد الكردية و تقدم مأدبة عشاء مليئة بالتوابل إلى إيران و ظلالها، خديعة و مصيدة تقابلا لجرّ الأكراد إلى مأساة أخرى بعد أن تم تفويضهم نيابة عن العالم لمحاربة الإرهاب المصطنع، إرهاب كان لا بد منه لتمزيق المنطقة الممزقة أصلاً، فمزّق الكرديّ نفسه بنفسه بأيادٍ كردية.

كركوك يا وجع الكرديّ و مأساته، تراب متنازع، هواء متنازع، ثروة متنازعة، قضية برمتها متنازعة، كل أمة مكلفة باسترجاعها إلى أصلها اللغوي و لكن الأكراد لم يسترجعوها إلى بلاغتها الأصلية و إنما أسلفوا مراراً بأنها شريانهم النابض، و لكن كيف لكرديّ أن يخدع كردياً آخر مثله شريكاً له في النعمة و البلاء، كيف له أن يطعن أخاه نيابة عن عدوه ؟ طعنة الغريب في رئة الكرديّ اعتيادية تجرفها الرياح في هبوبها الأخير و لكن طعنة الكرديّ للكرديّ لا تلتئم، طعنة الكرديّ في خاصرة الكرديّ لا تلتئم، طعنات متتالية طعنة هنا و طعنة هناك و طعنة بالوراثة ورثها الطاعن من أسلافه ، نزيف مستمر يجرّ خلفه ويلات و صرخات لا تلئم.

الهارب من الهلاك المُعجّل

إلى الهلاك المؤجّل

صفير غاضب يقترب و يشتد، صفير لا يعلوه صفير و أزيز منبثق من مركبة غاضبة تسبح في الجو انتقاماً من أبنية و أرصفة و أدمغة و رؤوس تعانق تلك الأدمغة، لا مفرّ من غُراب ثائر يعلو البسيطة بضعة فراسخ و يحمل في جوفه الموتَ بمقاييس مختلفة لأجساد شاء الله لها الاختلاف في الأحجام، كل جسد يقابله مقياس محدد من الموت لا يخطئه و لا يرتد عنه، كل جسد سيحظى بموت يليق به أو لا يليق، كل جسد سيهب نفسه للموت حال أن تجهض السابحة في الجو حمولتها في سقوط حرّ بحركة متسارع لترتد على ترابك بعد أن تزهق روحه أيتها الأرض العائدة إلى شرق المتوسط، لا مفرّ.

قطعان من الغربان الوطنية يحلقون في سمائك أيها الوطن الجريح و أطفال مبتسمون يُلوحون لهم و هم لا يدركون أن الغُراب لا يمازحهم و سيصطاد أرواحهم الواحدة تلو الأخرى على أديمك أيها الوطن المهمل المركون على هامش هذه الكرة المستديرة التي تسمى جغرافياً (الأرض). نعق الغراب فسقطَ الموت من جوفه مطارداً الأرواح في الأزقة و الغرف، أما الأجساد فقد تمزقت و تشتّت أعضاؤها و تناثرت كالغبار، أيّ قبر سيحتضنك أيها الجسد الممزق أيها النصف الآدمي ؟ و لمن تؤول ملكية هذه الأعضاء المتناثرة ؟ أيّ انتهاك لحرمة الأموات، في الحروب لا حرمة للأشياء لا للآدمي ولا لغير الآدمي فالحرب لا تستثني أحداً حتى ضحكات الأثرياء و بؤس المتسولين، لا مفرّ.

المركبة الآلية الحاقدة المحلقة بجناحيها اخترقت حاجز الصوت و كأنّها اخترقت الإنسانية برمتها لا شيء يلجمها،لا شيء يخفف من انتقامها الصاخب إنها القيامة الناقصة التي لا وجهين لها لا تشمل الفردوس، قيامةٌ جحيميةٌ حلت عليك أيها البلد المنهك و ما تبقى من أطفالك يجلسون القرفصاء في ظلامك الدامس لربما تعبرهم سحابةُ الموت بسلام أو تُخطئهم صدفة، أو ربما يحاولون الحفاظ على الجزء المتبقي من طفولتهم المهدورة المحتلة من قبل بشر لا يجيدون تفسير آلامهم و صيحاتهم المهدورة أيضاً، لا مفرّ.

الطفل الهارب من أتون الحرب الدائرة بين خصائص المعلوم وخصائص المجهول بين العدم و الوجود، الطفل الذي حُرِم من نومه و جمجمته تعّج بأزيز المركبات و ضجيج المحركات الثقيلة و الخفيفة غادر أشلاء الوطن في يقين منه أن الوطن ليس إلا حبراً يتقيأُ على ورقة ممزقة أو حلماً يضاجع خياله الممزق.

خليلو الطرف المُذعِن الذي أبرم مع الله ميثاق الموت ككل كرديّ يُبرم خِلسةً في الخفاءِ ميثاقاً مُلزماً لإجهاض الكردي و يقرّ جهاراً بأنه من يحصّنُ الأكراد من انتهاكِ غير الكردي.

خليلو ذو الواو الملحقة كقضيته الملحقة أبداً ككل قضية تستعصي ولادتها قسراً، استوطن المنفى بحثاً عن تأويل لاسمه العربي بمفردات كردية ليهجر الوطن هارباً من جحيم معجّل إلى جحيم مؤجّل فمكث أرضاً ليست بكردية و شَرِب نَخب البحر حتى افترش الزبد وسادة أبدية.

كُردستان.....

الجغرافيا المتوارية عن الأنظار

أريد دولةً:

رددها الكُردي بعد أن تنفس الصعداء من باطن رئته اليمنى لم يجُهد رئته اليسرى لرشق المسامع الشريكة أو الجارة جملته المليئة بالحسرات و النكبات، لا آذان شريكة ناصتة تسعف النطق المقذوف من الألسنة الكُردية المطالبة بدولة كُردية، لا آذان جارة صاغية دافئة تدفئ كلماتك المستورة بالبرودة، كلماتك المغطاة بالألم، برد لسانك المنطوق سيبقى أبداً ما لم يحظى بآذان دافئة أو عليك أن تستعير آذان ناصتة للشريك أو الجار بل الصواب أن تستعير آذان صاغية للكون برمته كي يحيا النطق الكُردي المنزلق من الألسنة الكُردية، و كيف لك أن تُرمم الإصغاء برمته في هذا الكون الكُلي ؟

لا جدوى من صُراخٍ يطلق العنان في الفراغ الشاغر ، ذاك الفراغ الذي يبسط أنامله في الجغرافية الكُردية المليئة بالمنافع، منافعٌ ممتلئة يلتحفها فراغٌ شاغر، كُردستان: الأرض الحلم، الأرض الخيال، الأرض الظلّ، الجغرافية المتوارية عن الأنظار أبداً، الرقعة الكُردية المهمشة، الأرض التي نُحرت بعد الخديعة في المطبخ البريطاني الفرنسي و قُدمت وليمة عشاءٍ للعربيّ و التركيّ و الفارسيّ فنهشوا اللحم الطازج و ارتشفوا الدماء الكُردية حد الارتواء حتى شبعوا و بطروا النعمة و ركلوا مؤخرتها بعيداً لتبقى جثة مرمية على قارعة الطريق، عظام غير مستورة لا تصلح إلّا

للكبّ، أيّ دفءٍ سيكسيكِ أيتها العظام الباردة، و أيّ غطاء ؟كُردستان التراب المخدوع الملحق أبداً، ميراث الكُردي و ظلّ الكُردي و ظلّ أبيه و ظلّ ظلهِ، كُردستان الأرض الحُبلى بالجبال برهان الكُرديّ على التشبث بيقين التراب، كُردستان الأرض الخلاص التي أنجدت الكون برمته على كتِفيها بل الصواب على كتِفيّ الجودي، الطور الشامخ أبداً، الطور الذي حمل السفينة و عبء السفينة أثناء غضب الله على ملّة نوح فطغى السيل على الآدميّ و لم ينجيه إلّا الجودي، الطور الكُردي الشامخ، و لكن من سينجيك أيها الكُرديّ الغريق ؟

دولٌ رُمّمت على عجلٍ، كياناتٌ، رؤساء، وزراء، مواطنون، دساتير، قوانين، زنازين لحجز الأفواه و الأدمغة، حدود اصطناعية و غير اصطناعية، و غير ذلك من مستحضرات بناء الدولة، رُمّموا على عجلٍ و بقيت كُردياً تائهاً وحيداً كجبالك الوحيدة، فكيف للشريك و الجار العربيّ أن يجيز لنفسه دولةً و للكُرديّ لا ؟ كيف للشريك و الجار التركيّ أن يجيز لنفسه دولةً و للكُرديّ لا ؟ كيف للشريك و الجار الفارسيّ أن يجيز لنفسه دولةً و للكُرديّ لا ؟ أليس من الإنصاف و الصواب أن تجيز لغيرك ما تجيزه لنفسك ؟ أم أن القضية برمتها صواب ناقص فيما يتعلق بالكُردي و رقعة الكُردي أم أن الكُردي لا يليق به كيان دولة ؟

أريدُ دولة : نطقها الكُرديّ مجدداً من أسفل حنجرته فتلقفتها أوتارٌ كُردية برؤوس أصابعها كي يحيا النطق بالعزف، عزفٌ كُرديّ يطارد المقام و هذا العزف لا يحيا إلّا إذا تناولته أجساد الكُرديات ليرقصن طرباً على ترانيمه و تراتيله، فالأكراد يرقعون الخيبات

بالرقص و يرقعون الانتصارات أيضاً بالرقص، ملّة لا تتقن إلّا العزف و الرقص كوطنها الجريح الذي يرقص طرباً على أنغام المدافع، قطرات من البارود التركي في أسطوانة عربية و صاعق فارسي و هذا المزج لم و لن يتنفس الهواء إلّا على ترابٍ كُردية مضيافة، فكيف للكُرديّ أن يبقى و هو لا يستضيف إلّا البارود.

أحذيةٌ كُرديّة مُعلّقة

و نِعالٌ كُرديّة تعلوا العمامات

هكذا هي المدن تبقى حيّة ما دامت الحياة حيّة باقية في ثورة هيجانها المضطرب لا يخذلها التراب ولا الهواء، ما يخذلها أحياناً هو الآدميّ صنيع التُّراب، ما لا يخذله التّراب لا يُخْذَلْ، هكذا هي المدن.

أورمية إطلالة المشرق الكرديّ في الشرق الكرديّ الملحق بالأرض الفارسية، نهد البحيرة - بحيرة أورمية الضاربة بجذورها أعماق الأرض،نهد البحيرة و مهدُك يا زرادشت النبيّ الكهل العجوز الكُرديّ باني الأفيستا الذي سيعبر بأحفاد الكرد على جسر جينفات مروراً إلى الفِرْدَوس المنتظر المشرق بنورك يا أهورامزدا ربّ الكرديّ و غير الكرديّ.

أورمية... الأرض المعلّقة أبداً، ترابٌ مُعلّق، هواءٌ مُعلّق، بحيرة مجففة مهددة بالانقراض مُعلّقة، حذاءٌ مُعلّق، و نِعالٌ مُعلّقةٌ، أجساد كرديةٌ ممتلئةٌ و هزيلةٌ مُعلّقة، أفخاذٌ و سواعد مُعلّقة كانت تحرث أراضي الكرد المعلّقة، رِقاب كرديّة مُعلّقةٌ تتوسطُ حلقات الحبال المعلّقة، ابتسامات مُعلّقة لا تودّ الرحيل عن شفاه مُعلّقة، نكاح كردي مُعلّق، خِصىً ممتلئةٌ مُعلّقة، حيوانات منوية كرديّة مُعلّقة كانت ستهب أطفالاً كرداً مُعلّقين، نبيّ كرديّ مُعلَّق فيما لو بقيت حيّاً يقيناً كنت ستُعلّق يا زرادشت، قضية كرديةٌ مُعلّقة، و حبال فَارسية مُعلّقةٌ أيضاً، هذه هي أورمية التي لا تزال مكبلَة و الحبال تربط عنقها و تُعلِّق جسدها لا تودّ الإطلاق ولا الانفكاك و لا التحرير.

أحذية كردية مُعلّقةٌ و نِعالٌ كرديّة تعلوا العمامات، مت وحيداً أيها الكرديّ، لا السماء تحملك و لا الأرض تحتضنك، مت مُعلّقاً كما أنت مت كما لم يمت أحد قبلك، نخب الحبال الفارسية المشدودة بثقل الكرديّ الممدودة المُعلّقة و الحذاء الكرديّ المُعلّق أيضاً، نَخْبُكِ أورمية، ابقي مُعلّقة لا تسقطي، دعك من السقوط، سقوطك سيطحن العمامات، ابقوا مُعلّقين يا ورثة القاضي هكذا كما عُلِّق قبلكم و كما سيُعلّق بعدكم، ابقوا هكذا فنحن خلقنا مُعلّقين.

ابقوا مُعلّقين كما عُلّقت مهاباد في السابع و الأربعين الطفلة المُجهضة ابنة الأحد عشر شهراً طفْلة أقصى الشمال الغربيّ الحاضرة في الوثائق الرسمية، أرض كرديّةٌ عقار كرديّ مسجل في السجل العقاري الفارسي، جارة أورمية و وارثتها في التعليق، أرض كردية لم تورث الكرد إلّا حبالاً ممدودة مُعلّقة.

مهاباد ابنة القاضي و أقصى الوادي مولودة الابتسامات المختصرة لم يكتب لها التدوِين ولا طُول البقاء في عهد الشّياه، الشاه الإبن عهد المصائد المُعمّدة في العصر المتأرجح بين القديم و الحديث عهد الخيانات الملازمة للخديعة الكرديّة المطمورة في التراب.

نُصبت الأعمدة و هُيّئت الحبال و مُدت هكذا لا ينقصها إلّا جسد كرديّ مُهفهف أو شحيم يهب نفسه ليكتمل المشهد على فراغه، أعددت الحبل بكلتا يديك يا ترومان و عقدت رباطه أنامل ستالين الجسيمة، لما كل هذا يا سادة ؟

أعمدة منصوبةٌ و حبال ممدودة و حلقات معقودة لوازم الموت الكرديّ جهاراً، الإجهاض الكرديّ، الوأد الكرديّ، الطمر و الطمي الكرديّ ولن تسعف الصورة إلى كمالها إلّا و أنت تضرب بقدمك اليمنى أسفل الكرسيّ مبتسماً يا شاه فتدلّى الجسد هاويا مترنّحاً و عُلّقت مشنوقاً أيها القاضي، ابتسم يا شاه، الكرد أيضاً يعلقون مبتسمين، ابتسمي يا جارجرا لا تليق بك المأساة هكذا هي الساحات.

جدائل الكُرديات

تتسلق هضبة مشتى نور

اخترقت لولبيةً حائط الصوت و سقفه، اجتازت الهواء المظلّل للمدينة المركونة في وسط الشمال، لم تلجمها رصاصة أو ما يشابهها، و كيف لرصاصة أن تلجم قذيفة الهاون الطائشة ؟ بل ردعها جسد منهك ليرتطم قحف القذيفة بقحف الجسد الذي لم يحظى بالفرار و النجاة من غضب البارود، لا صواب للحرب لا صواب للقذائف لا صواب للرصاص لا صواب يلجم السفك المُراق، بل لعنات متطايرة تطارد أجساداً بريئة و غير بريئة، لعنات لا يشفِ غليلها إلّا الدم الطازج. القذيفة اختزلت الجنون كله في جمجمتها لترمي أثواب الموت على أجساد عارية مهرولة على أرض الشمال الأوسط «أرض كوباني»، أجساد لا ينقصها إلّا ثوب مطرز بالبارود. وقف المقاتل أعلى مشتى نور ليتوضأ بترابها و صاح سنزهق روح هذه الرقعة المرتدة لنعيدها طاهرة تليق بطهر أجسادنا، لا تُطهر الأرض إلّا من تحت نعالنا، مدينة مرتدة، هواء مرتد، تراب مرتد، ماء مرتد، أجساد مرتدة، نطاف و خُصى مرتدة، فروجٌ مرتدة أيضاً، أكرادٌ مرتدون، هكذا قالها مقاتل مجهول الهوية من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق و الشام، صاح بأعلى صوته على قمة التراب المتراكم المركون في الجنوب الشرقي للمدينة التي ستحسم أمرها بعد جدل الرصاص المتبادل، هذا التراب تراكم على عجل نتيجة نكاح شرعي بين تلّ أحمق و هضبة مجنونة فكانت الغلبة للأم في حقن الجنين خلايا مؤنثة و صِباغ رمادية لتلد هضبةً لا تلاً فكان

حاصل القران بين الحمق و الجنون هضبة هجينة معدلة وراثياً أسموها مشتى نور فيما بعد. اشتدّت الموقعة على خفّةٍ دون مصافحة و دون سلام و تعارك المقاتلون بالقذائف و الرصاص، لا صُراخ يصعد فوق صُراخ الرصاص و البارود، أجسادٌ طحنت أجساداً و البارود طحن البارود على تراب كُردية في شمال كُردي، لا صواب يلجم السفك المُراق لا صواب.

انهمر الرصاص على الفراغ المسكون أسفل المدينة من أعلى الهضبة المشرفة على أحوال المحاربين و أناخ المقاتل من الهضبة يتبع رصاصاته ملأى بالموت. موتٌ يتقيف موتاً أحمقاً لا يثمل إلّا من دماء تعبر أجساداً كُردية، و أما فوارغ البارود من الرصاص فلا وظيفة لحقائب فارغة تنتظر سواعد فارغة تملؤها من على الأرصفة، و أما فوارغ البارود من الرصاص لا تحيا إلّا إذا ملأتها مقاتلة كُردية بعطرها بعد أن تتخذ أناملها الصغيرة خيار التعبئة، هذا الموت لا ينقرض إلّا بعطر كُردية، حُطمت المدينة على عجلة و تطايرت شظايا الأبنية على عجلة أيضاً بعد أن تحرشت بها القذائف المعتوهة، شظايا الأبنية نافست شظايا القذائف في سحق الأجساد الراكضة من ظلّ الموت إلى ظلّ الحياة، أنصاف أبنية هُشمت و أنصاف أخرى أُبيدت و استؤصلت من أصلها و بقايا غرف لا تزال معلّقة لا تود الانزلاق و الرسوب من العلو، و بقي الحال على حاله حتى امتزج ضجيج الهاون بضجيج القذيفة و تسابقوا في تحطيم ما تبقى من بقايا المدينة عندها حُرر الركام من الزكام في شمالٍ كان يسمى كوباني، شُوهت مرآة المدينة و لكن بقيت مشتى النور منتصبة و شامخة.

الوطن المتنقّل

الهارب إلى الجّحيم، أو لمن ستقدم الولاء

نصبت الأعمدة و هُيّأت على عجل و تهافت القماش على عاتقها بشكل مستدير و متعجرف يتوسطُها عمود بقوامه الطويل يحمل الثقل و العبء المركون في ضيافتها، هكذا يترائ المشهد من الداخل المظلم للأمتار القليلة التي ستحتضن خيباتك و إخفاقاتك و إنكساراتك و عجزك و هزيمتك و آلامك و آمالك الضائعة و عبئك و حقيبتك المليئة بالخيبات و الحسرات، أما من الخارج شعار مطبوع لا بأس به، كفان على شاكلة شاهدة قبرك سيطبقان عليك لقبض ما تبقى من روحك و قيد من القمح المجروش عوضاً عن التراب الذي ستدفن به مكتوب تحته بخط واضح للعيان و للبلورات المحدبة و المقعرة (المفوضية السّامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين) كم أنت ساميةٌ و عاليةٌ و جليلة القدر،تفضل أيها المشرد خيمتك جاهزة، وطنك جاهزٌ، تفضل يا عزيزي ترجل بقدمك اليمنى لتكون إقامتك مباركة و مريحة، تفضل على الرحب و السعة.

و لكن أريد وطناً يليق بنا و بي، وطناً يحمل أحمالنا و أعباءنا، وطناً يحتضننا و يبتسم، يفرش لنا العراء إقحواناً، يخرج من باطن جوفه نباتاً مستساغاً خفيفاً على أجوافنا الخاوية لتمتلئ، وطناً خفيف الظلّ طيب النّفس حلو المعاشرة، لا نريد وطناً ممزّقاً سملاً مرقعاً مهترئاً نحن لا نقوى على حمل مأساته و تعاسته و كربه، لا أريد أن أختزل الوطن برمته بدستوره و قوانينه و شعاره و علمه و

طقوسه و عاداته و تقاليده و جماله في هذه الأقمشة الرثّة البالية الهشة التي تهلك مع استفتاح سهوك من الرياح و تتبعثُر كالسراب و نتبعثر نحن أيضا. و من قال إنّ لك وطناً ؟ نحن لا نهب الأوطان كاملة نحن نوجزها و نلخصها و نجود عليك بفتات المائدة و فضلات الطعام لنبقيك حياً على قيدها، نحن وكلاء الله لقبض الأرواح ننوب عنه لنطيل أمدكم أو نقصره هكذا نحن لا نسدد الالتزامات المبرمةَ بيننا و لن نكسيك ثوباً على مقاس أطرافك أبدا.

و في الفلق المقلق اللاحق تصدق الله عليه وليداً طاهراً، عبئاً آخراً مضافاً متمّماً للفجيعة الممتدة للحيلة المعدة سلفاً و أي خديعة تدبّر هكذا لتركلك بعيداً إلى حضن القماش لتتهاوى كالقماش، نعم ستصبح قماشاً مهملاً للكبّ لاحقاً، و أما الوليد الواهب فمن تكون ؟ ابن أي رقعة أنت ؟ و إلى من تنتمي؟ و لمن ستقدم الولاء و الطاعة ؟ و من هو رئيسك ؟ ستُرقَّم في سجلات مفوضية القمح و الكفين منفياً مطروداً بن المطرود ستكنى بابن الخيمة اللعينة أمّا من بقي في الداخل لا يزال يحتفظ بصورة رئيسه معلّقاً في مخيّلته كما يشتهون أو كما يشتهي هو.

و يبقى وجه المأساة الكبرى من يتخذ من الخيمة خيال وطن، أيها الوطن البديل الوطن المتنقل الوطن الظلّ الوطن المفرغ من الوطن و المشبع بالوطنية،لا تيأسي أيتها الخيمة الوطن لن تكوني رطبة و باردة ثقي تماماً إنّ هذا المشرّد سيُغدِقُك دفئاً لا لبس فيه ولا إبهام، هذا المطرود المبعد بغبن فاحش سيكون ظلُّك على أن تكوني ظلّ وطنه النازف، قد يخونك العراء ولكن لن يخونك ظلَّه فلا مكيدة للأظلال، تسرَبت البرودة إلى بطنها فألف المشرَّد

الحطب اليابس و المبلل و أعدّها لتلقينها علوم النار فتأجّج الحطب لهباً في يقينها قاذفاً الدّخان المبدّد عالياً ليمتلئ الوجود اختناقاً.

لا تَقتربْ.. الخيمة تحترق... الوطن يحترق...

الصيحةُ الواحدةُ لا غير

ترجّل الصباح بفيضه الثقيل المتّزن بخياله، و أسدل يقين نوره على يقين المدينة في استئذانٍ مهذب للمساء المهزوم المنصرم،

فالصباح نعمة الوجود العاقل في استدراج النهار من جحره على رقعة نائمة على فراش ليليّ يتهيأ للرحيل بهدوء،

و يبقى الصباح لذّة البصر في انتقاء اللون والصّور و تحصيل المشيئة من العماء الكليّ المطلق.

رقعة مهمشة في أقصى الشمال السوريّ، أسيرة المنفى تتكئ في اتزانها على لغة منفية من جسدها النحيل تتلاعب بها الرياح في قذفها من كينونتها الكردية في توصيف لتجريد الكرديّ من بلاغة لغة و تجريده من هوية أثقلت لسان حاله للنطق بحروف كردية في حضن غير الكرديّ،

استفاقت المدينة بصخبها المعتاد بعد أن جرّدت عن كاهلها ثقل الليل و هي لا تدرك أنّ النور الهشيم لن يكون إلّا مصيدة تتقفى آثار أرواح أبت أن تتخلى عن أجسام تكِنّ للأرواح المستورة في ظلها نعيم الحياة.

هرولت بعجلاتها الثقيلة الدافئة على الطريق الممتد بين عدم الكرديّ و أزله في غرب قامشلوكي المدينة المبتسمة أبداً بابتسامة أبنائها المستكينين، هرولت في عجالة إلى الهدف المنشود في ركن المدينة نيّة منها لإيصال الموت إلى أرواحها النائمة على أسرّة تنقصها الحكمة في تعيين علوم اليقظة و النوم.

صيحة واحدة أطلقَها من باطن حُنجرته إلى الفضاء المُعلن و تشهّد على روحه المغلوبة على أمرها في يقينٍ منه أن الصيحةَ لن تكون إلا مفاتيح يفكُّ بها أقفال الفردوس الموعود لإيداع روحه رهينة في جنانها،

صيحة واحدة لا غير كانت كافية لنحر المدينة من غربها في دلالة واضحة لإسكات حنجرتها التي كانت تعاني من إيصال صوتِها إلى الهيئة الموكولة توزيع حصر الإرث على الأعراق.

تهافتت الجدران على ساكنيها و انقلبت موازين الهندسة في المساحة المعلنة من المدينة ليسقط السَّقف المتواطئ مع الصيحة و يتحول إلى أنقاضٍ تعلو الركام شعرة،

ركامٌ يطحن الأجساد تحت حجارتِها الثقيلة و هي تصرخ ملءَ صوتها ناجية جسداً آخر شريكاً لها في المحنة لربما كان الحجر يُخفي في ضميره رحمةً لجسدٍ لم يُطحنْ بعد.

و في مشهد آخر يعلو المشهد الأول ثلاثةَ أمتار في علوم تقييد المقاييس للأبنية جسدٌ منهك تحت نقضِ الفجيعة المبرمة مع الصحية الدخيلة،

جسدٌ غير معلوم المظاهر لطفل لم ينجُ من الفجيعة سوى باطن قدمه اليمنى وهو مغروز في الركام من الساق الموصولة بها ليبقى باطن القدم شامخاً يمازح السماء،

الطفل الذي تؤول إليه ملكية القدم كان سيروي لمِلَّة آدم الباقية من حصة الكرد ميراث الفجيعة التي فَصلتْ قدمه عن جسده.

أمّا في الجهة المقابلة من المشهدين نصف غرفة لا تزال معلّقة في دلالةٍ على عدم رغبتِها في السقوط، يتوسطُها أريكةٌ لامرأة

كرديّة كانت تستلقي بجذعِها الممتلئ على ظاهرها في مناضلات الجماع لاستيراد الكُردِ من رحمها كي تملأَ صيحاتُهم أصقاعَ العالم بمحنتهم الأزلية،

انتهت الفجيعة في غرب المدينة و لا زال نصف الغرفة معلقة.

عربيّ يستنجد بسقف مقطورة
و سماءٌ تسقف الكرديّ

أفرغت الحوّامة ذات المرواح الأربعة مولودها المعتقل في جوفها فقُذف المولود لولبياً يدور حول نفسه كموت تائه يبحث عن روح تائهة، المولود لم ينجده نظره إلى أرواح تتسول الحياة على أرصفة الشوارع المزدحمة بالأنقاض فسقط المولود القذيفة على غرفة طينية فارغة تماماً من الأرواح فصرخ اللّبن صرخة أبدية و تطاير عالياً إثر الاصطدام المرعب فلحقت الغرفة الطينية المركونة في ريف القامشلي في الشمال السوريّ بأقرانها من الغرف و تحوّلت إلى أنقاض و من الأنقاض إلى السراب، لم يبق للبدويّ العربيّ إلّا الركام بعد أن طُحن داره و طُحن معه اللّبن الذي يُقي عظامه من قَرس الشتاء و سخونة الصيف، لم يبق للبدويّ إلّا المأساة بعد أن تحطّم وطنه الطيني فاتخذ مقطورة الجرار وطناً بديلاً، اتخذ من سقف المقطورة سقف وطن بعد أن ألبس حوافها قماشاً لا يستر إلّا الفجيعة، وطنٌ يعلوه سقف مقطورة جرار و جدران من القماش، أيّ محنة استُدرج البدويّ إليها ليحجب كارثته عن الأنظار و أيّ مأساة، إنه حب التراب و حب التمسك بالأرض، إنه حب الوطن، مَن يزرع الإخلاص في التراب سيحصد وطناً في نهاية الحصاد، مَن يحرث الوفاء في الأرض سيجني وطناً، سقف مقطورة البدويّ سيضحى سقف وطن بعد فرسخ و نصف الفرسخ من الزمن أقل أو أكثر حسب معايير توزيع الأسقف للأوطان و أقمشة جدرانها ستكون حدود وطنه. على العكس تماماً من جاره الكُرديّ الذي اتخذ من

السماء سقف وطنه المبدد على جغرافية الله الواسعة، أما الأكراد فقد فشلوا في تعريف مفهوم ماهية الوطن و فشلوا أيضاً في حصاده فكان حاصل عدم إخلاصهم لترابهم بقاءهم دون تركة من الجغرافية يوم توزيع الميراث، يوم توزيع الحصص من الأسقف للأوطان فبقوا دون سقف يظلّل وطنهم فاتخذوا السماء الواسعة سقفاً يظلّل السراب، أخفق الأكراد في توصيف محنة التراب فتركوا الزراعة و عملوا في السياسة فخسروا الأرض و المحصول معاً لتبقى بطونهم جائعة إلى أبد الآبدين، و خسر الأكراد أيضاً في تجارة التبغ المهرب فتاجروا بقضيتهم و ربحوا التجارة المستحدثة، لا ربح يفوق ربح التجارة بالقضايا، و بعد الخسارة لجأوا إلى الشعارات الفارغة و برعوا في هتافها لتعويض خسارة الأرض و المحصول، ملّة لا تتقن إلّا الهتاف. رصاصة جبانة تُطلق في غرب الجغرافية الكردية فيبرع الكرديّ المركون في شرق الجغرافية بالفرار إلى ما وراء البحار قبل الكرديّ المقيم بالقرب من الرصاصة في غربها، فرار الكرديّ برهان الكرديّ على عدم الولاء للتراب، لا وطن يُحصد بالفرار ، لا قيمة للآدميّ دون وطن يسند ظهره على جدرانه حقيقة لم يدركها الأكراد بعد.

كلنا زعماء..... كلنا لاشيء

زعيمٌ هنا و زعيمٌ هناك، عظيمٌ هنا و عظيمٌ هناك، و بين كل زعيمٍ و زعيم هنالك زعيم آخر يرى في نفسه إماماً على الزعماء، و بين كل عظيمٍ و عظيم هنالك عظيمٌ آخر يرى في نفسه وجيهاً على العظماء، لا رعية بيننا لا مرؤوس بيننا لا محكوم بيننا فكلنا زعماء بالفطرة، كلنا عظماء بالصدفة، منذ أن مهد الأب النطفة في وعاء الرحم تصدق عليها بفكره الظاهر و لاوعيه الباطن، تصدق عليها بكل ما يملك من تخلفه فهيأ جنيناً سيقذفه الرحم زعيماً بعد الصرخة الأولى، نعم أورثه الزعامة. زعيمٌ كُرديّ هنا و هناك و زعيمٌ عربيّ هنا و هناك، كلنا زعماء بالوراثة، شعوب ترى في نفسها أنها لا تنقصها شيء من الحكمة و الصواب فهي لا تقبل المشورة و النُصح، لا مجلس للشورى بينهم لا دار للتوجيه بينهم، و كيف لزعيمٍ أن يتنازل لزعيمٍ آخر ندّ له و يتلقى منه اليقين ؟ كيف للصواب أن يرى في غير نفسه صواباً ؟ أليس من الحماقة أن يتنازل الرشد و البلوغ لجاهلٍ غافل لا يدرك الحقيقة، كل واحد منهم يعزف اللحن منفرداً بعيداً عن الإيقاع العام فتتداخل الأصوات مجتمعةً في ما بينها لتنسج لحناً عاماً ضالاً غريب الأطوار لا ينقصه الشواذ فترقص الأمة عرجاءَ إلى أبد الآبدين، عزف منفرد وسط تيهٍ عام وسط ازدحام الزعماء، نعم شعوب مزدحمة بالزعماء، زعماء على الأسطح، زعماء على الأرصفة، زعماء يهرولون في الأزقة و الشوارع و زعماء في الأبنية، أينما التفت فهنالك زعيمٌ يراقب خطواتك، زعيمٌ حداد و زعيمٌ نجار و

زعيم خياط و زعيمٌ بَناء و زعيمٌ خباز و زعيمٌ يبيع التوابل على الأرصفة و زعيمٌ نادل يملأ الفودكا في الحانات و زعيمٌ و زعيمٌ و زعيمٌ.... نعم كلنا زعماء، كلنا عظماء، كلنا لاشيء.

و لكن تبقى صورة أنصاف الآلهة الزعيم الأوحد الذي يقود البلاد و العباد هي الأكثر فتنة من نوعها، صوره تظلّل السماء و التراب و الماء و الهواء، شعوب لا تضربها الشمس أبداً فصور الزعيم تقيهم من حر الشمس و حرقتها، كل صورة تظلّل فرسخاً بأكمله ليبقى الشعب مريضاً لا يهنأ برائحة الشمس الدافئة و كيف لشعبٍ أن يتعافى و أنامل الشمس لا تدخل حجره.. ! فإذا كان الله سيظلّل سبعة في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله في اليوم الموعود فإن الزعيم الواحد بصوره يظلّل شعباً بأكمله، أنصاف آلهة تخطت الإله بظله، لكل فرد من أفراده هنالك صورة تظلّله و تراقبه أيضاً فهي صورة رقيبة مظللة، صورة للزعيم هنا تتقمّص شخصية الفلاح بمعوله و هو يحرث الأرض ليملأ بطون العباد بالقمح و صورة للزعيم هناك تحاكي شخصية المقاتل و هو يرمي آخر رصاصة من بندقيته على أعداء الوطن لتبقى حدود الوطن سالمة و صورة للزعيم بينهما تحاكي شخصية الطبيب و هو يطبب أوجاع و آلام العباد كي تنعم رئاتهم بالعافية، هناك أيضاً صورة للزعيم تحاكي مجمل الحرف و المهن الفكرية الحرة، صوره لم تبخل على شيء إنها حفلة تنكرية بطلها الزعيم و جمهورها الشعب المُصفق.

شعوبٌ شاردة لأوطانٍ مفقودة

يُرمَّم مكان إقامة الإنسان و مقره في الوقت الذي يهبه المنسوب إليه النفخ المدرج في صلصاله صدقةً جارية، و يُنقّح أيضاً عندما يزرع آدميته في يقين ترابه منحةً خالية من الضرائب لينتفع به ذاك المكان دورياً كي يبقى حياً أزلياً مدى الحياة، تُرمّم الأوطان و يصلح رأبها متى فاضت بالانتماء و الانتساب، فالوطن: هو تحصيل الجماعة رقعة ممتدة من التراب على البسيطة متى غَلظ و احتدّ حبل الربط بينه و بين المنسوب إليه أي الوطني و تهيأت نواة الجماعة أن تقدم سرّ الله أي روحه و ما يطوّق هذا السر معاً قرباناً خالصاً في سبيل المحافظة على إبقاء مزاولة عبور الهواء غريقاً إلى رئته، رئة الوطن، هكذا تُرمّم الأوطان، رمّمْ الوطن كي تُرمّم و تحيا بحضوره و جوده.

طاب نهارك سيدي:

رددها الكُرديّ بلسانه المعرّب قسراً في دُور تلاوة العلم و المعرفة على أرضه الملحقة، استحضر اللفظ المجازي بلسان الجدل العربيّ المحتل للحنجرة الكُردية و المستولي على النطق و المنطوق الكُردي، هكذا يستورد الكُردي الحروف المنطوقة عربياً إلى حنجرته الشاردة كوطنه الشارد بعد أن تُصدّرها الحناجر العربية إلى الألسنة الكفيلة بإبلاغ المسامع الكُردية نطقاً فصيحاً بليغاً لا لبس فيه.

و نهارك أيضاً :

تبسّمت شفاه العربيّ في رد التحية قبل المصافحة على أرضٍ ليست بعربية ولا كُردية، أرض ما خلف البحار، أرض المنفى

المتأرجح بين البارد و الرطب، الأرض المتواطئة في صياغة الخديعة قبل تقديمها للعربيّ و للشريك الكُردي، أرض المكائد الكبرى. تُحاك المصيدة المُعمدة على موائد الغرب بفطنة الزعيم الجالس في أقصى الغرب بتدبير منسّق قبل منحها لتزرع في أرض العربيّ و غير العربيّ، أرض الكُرديّ و غير الكُرديّ، الأراضي الخصبة، أرض المصائد الكبرى. و لا تزال ابتسامة العربيّ معلّقة على شفاهه، قاطعه الكُردي قائلاً : أريد وطناً مُشرق الجبين كوطني المفقود. تفوه الشريك بالرد : لكنني لا أهب الأوطان المفقودة أنا أيضاً مثلك منفيّ من وطن شارد إلى هذه الأرض الرطبة. أنا أيضاً سليل بلد مُنهك من الطعنات بعد فشل أداء الطعنة الأولى، نحن كلانا نتمّم نسج الخدائع و كأننا صانعوها، مهّدت حنجرته العربية خطاباً لتلقينه و لكن اللسان الكُرديّ المُعرب سبقها إلى بتر تلك الحروف قبل ترجمتها جُمَلاً و بدأ اللسان بالنطق : إذاً انحت لي وطناً على حجرٍ أخرس و لكن جُد عليه بلسانٍ كُرديّ لا تعريب فيه، حجرٌ ينطق الكُردية فصيحاً.

تسلّل العربيّ النحات إلى غرفة المزاولة و بدأ الإزميل بلسع الحجر الأملس بتحريض من المطرقة بعد أن قام النحات بالرسم على الحجر الأصم الأخرس، الحجر الذي سيتصدق عليه العربيّ النطق لاحقاً لإشباع رغبة و توصية الشريك الكُردي الذي اشتهى نطقاً كُردياً فصيحاً لو لا أن الإزميل نكث العقد المبرم بين الشركين المنفيين في الغرب الواسع و بدأ بالنحت على ما يشتهيه اللاوعي الشرقي برمته، لازالت المطرقة تحرّض إزميل النحت على أكل الحجر الذي كان سيؤول إلى المجسم الوطن على غرار الطعنات

التي تأكل البلد الأصل، كل مجسم نحت هو ظلّ وطن لمنفيّ تائه إلى أن يصلح الوطن الأصل من نزفه، كل مطرود هو سجين الصور المعلّقة في مخيلته إلى أن يتعافى البلد من جُرحه السحيق، و بينما الكُرديّ يتكفل بأسر دخان لفافة التبغ في رئته أحضر العربيّ المجسم النحت بعد تدليكه بورق الصنفرة ليكون أكثر أناقةً و تلاه نفخٌ من أعماق جسده لنفض الغبار و وضعه على الطاولة و قال بأعلى صوته لنلّعق معاً هذا الحذاء العسكري الجميل، نخب الشعوب التي تُرمّم الأحذية بلسانها.

رعايا سعداء في ظلّ أنظمة سعيدة

التف إلى يمينه نصف دورة في حركة بطيئة متجانسة مرئية نوعاً ما، تقصّد الحركة رغبةً منه في احترام البروتوكول خاصته و همس في أذنه اليُسرى و قال : لا تقلق عزيزي، نحن وكلاء الله على الأرض، نحن أولائك الرعاة اللذين لا يضربون الرعية كالخِرفان بسياطهم الغليظة، بل نحن من ينفض الغبار الذي يتخذ من وبركم محل إقامةٍ دائمةٍ، ليس هذا فقط بل نمشط الصوف الذي يحاصر أجسادكم كي نخفف عليكم الحصار و الضيّق. عذراً على التشبيه عزيزي، ردّ عليه المتلقي قائلاً: لا مشكلة سيدي الرئيس أنا زبّالٌ و يحق لك ما تشتهي من الكلام و القول ردّ عليه الرئيس مقاطعاً : لا لستَ زبّالاً، بل أنت عامل نظافة، فردَ بل أنا زبّال أنا مَن يجمع النفايات و فضلات الطّعام و الأزبال من الشوارع، نحن مَن ننظف أرصفة الدساتير من قشور الأبواب الغير الصالحة للاستعمال، تلك الأبواب التي تخترق العصيُّ عجلاتها فتصبح معطلة عن العمل إلى أبد الآبدين. فردّ الرئيس قائلاً ليس هذا فقط بل أنت من تنظف أدمغة الأنظمة العربية من نُعاسها، من قيلولة نصف النهار، من نومها، من سُباتها العميق، لتصبح يقظِةً ساهرةً لا يتسللها النعاس و لا النوم خلسة إلى ما وراء أجفانها، يا مَن تكنس القوانين و موادها من غبار الظلام و غبار العتمة لتغدوا أكثر نفوذاً و أكثر سلطاناً، كي تخطوا هذه القوانين بأناملها المبللة على جسد الوطن و ما يعلو الجسد و ما يعلوه الجسد، قوانيُن تتقيف الجُرم و مَن يرتكب الجُرم فاعلاً كان أم مُحرّضاً أم شريكاً.دساتيرٌ بقاماتٍ طويلة و مناكب عريضة لا تيأس من بسط ولايتها على الأزقة

و الحانات و أسواق التوابل و أسواق اللاشيء، قوانيٌن بعجلاتٍ كبيرة تجوّل في أزقة الدساتير لتمتين الولاية لذاك الدستور الطويل و أحياناً أخرى تكون ككرة ثلج كبيرة تتدحرج تحت أصابع الشمس الدافئة حتى تُذلّ تدريجياً و تختفي تماماً كالسراب، نعم تتلاشى تماماً كالسراب و كالشعوب أيضاً. لا حياة للثلج و هو يبسط حقيقته على كف الأرض عندما تخترقه أصابع الشمس و كذلك القوانين أيضاً.

رد العامل على الرئيس قائلاً: سيدي الرئيس و كيف ننحت الغبار المسترخي على أرصفة الدساتير و هي نظيفة للغاية ؟ كيف نمشط شَعر القوانين في ظلّ أنظمة لا تُمل من نسج الجدائل لقوانينها ؟ أنظمة فياضة طليقة اليدين لا تبخل تماماً في حَبك آثارها و أثر آثارها لتكون أكثر لطفاً في تدليك أجساد رعاياها، أنظمة لا ترقد و لا تنام بل تبقى حائرة في كيفية إقالة التعاسة و تنصيب السعادة سلطاناً دافئاً تُذيب البرد المركون في زوايا الأجساد، قوانيٌن سعيدة لدساتير سعيدة لأنظمة سعيدة للغاية، رعايا سعداء أيضاً لا يطرقون أبواب الأنظمة كي تلبي طلباتهم المستعجلة و غير المستعجلة، بل تقوم الأنظمة من تلقاء نفسها بتعويض افتقارهم و إفلاسهم، أنظمة بمقاييس مختلفة و أوزان مختلفة و أحجام مختلفة لا تُمل من بسط حقيقتها، لا تُمل من إغراق الرعية في مستنقعات الكرم و مستنقعات السخاء ، دساتيرٌ و قوانيٌن و رعاةٌ و رعايا يُتمّمون بعضهم في ظلّ أنظمة تُتمّمهم، و بينما لا يزال الحوار متناغماً صاحت زوجة العامل بأعلى صوتها استفق من نومك عزيزي جرّةُ الغاز فارغة.

مُشافهة الأرواح ما بعد البرزخ

الموت ثورة الروح على الجسد كي يبقى الجسد في سُبات مُقيم أبداً، الموت أزمة الجسد و محنته، الموت إحراج الملك المُوكّل من قِبل الله لقبض النفخ المأسور في الجسد الآدمي، فالموت هو دعوى يرفعها التراب إلى الله حكيم الأزل و الوجود لإعادة الصلصال إلى يقين التراب بدعوى استرداد الحيازة إلى مالكها الشرعي، الموت لا يعتبر موتاً إلا إذا رُفعت الروح إلى الفلك و وعِدت بالحياة في الفردوس أو الجحيم و أما الروح المعلّقة بين الأرض و ما يظلّ الأرض فلا يعتبر موتاً خالصاً، الموت أن تودَع الروح في البرزخ إقامة مؤقتة إلى حين البعث الموعود من الذّات العليّة الواجبة الوجود، فالموت انتفاضة الحياة المقبلة على الحياة الزائلة، هكذا يكون مشهد الموت لغة و اصطلاحاً في فقه الوجود و العدم.

روح هاجرت جسدها ليست بسبب عارض أو حادث ما و هي جالسة في ركن ما من البرزخ تخاطب روحاً أخرى قُتل جسدها دفاعاً عن الدين أو الوطن و هما متجادلتان في أحقّية التمتع بالحياة ما بعد البعث المعهود من ذو الجلال و الإكرام، الروح التي رُفعت طبيعياً تقول نحن تلك الأرواح التي تُرفع إلى ها هنا دون أن تكون لدينا نيّة في الموت و دون أن ندرك تماماً أن هناك موت قريب أو بعيد ينتظرنا نحن من عشاق الحياة المُعمّرة نهب الدفء للحياة و حظوظنا في الحياة أكثر و نفاوض الموت لنحيا أكثر، نحن أسباب الحياة و السلام نغادرها بصمت و صلح دون مفعول حرب أو نزاع أو ثورة أو اعتداء أو دونما دفاع عن شخوص طغاة كانوا أم مُنصفين

أو ما شابه ذلك ، هكذا تموت أجسادنا و تُطمر في التراب بسلام أيضاً، أما أنتّن عكسنا تماماً فحظوظكنّ في الموت أكثر و في الحياة أقل، أنتّن تسرن إلى محافل الفناء بأقدامكنّ و تدركن يقيناً أن المنيّة قريبة منكنّ أكثر من النجاة من وقت آخر و أنتّن أسباب الموت و أسباب الإحتضار في الخلاص و تُضيف أيضاً بعد أن تنفست الصعداء : يا من تغادرن الحياة بضجيج و صخب....

الروح التي اغتربت عن جسدها بتأثير الدفاع عن عقيدة ما ترد قائلة نحن من نهب الأجساد حياةً أزلية و نقرع الطبول طرباً بالارتحال إلى دار القرار و البقاء الأعلى هكذا نكون أقرب إلى الفردس على بُعد فرسخ أو أقل و هكذا وُعدنا في كتابه بعد أن دفعنا أجسادنا ضريبة مسبقة، ندفع الضرائب و نتلقى الأجر الخالد في الفردوس الخالد، نحن من تخلينا عن الحياة بعد أن وهبنا الجزء المتبقي من حياتنا هبة لمالكي أرواح أخرى قد تنعم بوجود أجمل حيث نزيل الصِعاب الكبرى أمام لاحق ليسير هاتفاً إلى مَشرِق مُشرِق بديع بهيّ و ساطع.

و بينما الجدال ما زال متأجّجاً و محتدماً بين الأرواح فُتحت أبواب البرزخ على مصراعيها لاستقبال الوافد الجديد روحاً هائجة عاصفة دخلت من الباب الخلفي، روحاً ممزقة لا تزال آثار البارود معلّقة على بدنها المنهك، روحاً انتحاريّة لجسد انتحاريّ لحياة انتحارية تصرخ بأعلى صوتها على ماذا تتجادلنّ أيتها الحمقاوات ؟ عن أي بعث تتكلمنّ ؟ البعث الأزليّ كله لي وحدي لا تتخاصمنّ في نهاية نحن ساكنوها و مالكوها، لا جدوى من حياة هي برمتها عذابنا المؤبد و كي نحرّر هذه الأجساد من العذابات المثقلة بالديون

نجاهد في إتمام هكذا فعل مبارك، نحن من نمزّق أرواحنا في الجحيم كي نرمّمها في النعيم، أجسادنا لا تحتضنها القبور و أشلاء أجسادنا قناديل المشرق و نقيض المشرق، هكذا نحن لا نورث التراب يقينه بل نرث الفردوس. عم الصمت في أرجاء البرزخ بينما لا تزال أبوابه مفتوحة على مصراعيها من شدة الدخول الأخير.

صدر للمؤلف

القصيدة التي كتبت بلسان مقطوع أو ميثاق الضجر- شعر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2017.